IX 9Marks سلسلة بناء الكنائس الصحيحة

الوعظ التفسيري

كيف نتكلم بكلمة الله اليوم

ديڤيد هيلم

سلسة بناء الكنائس الصحيحة

الوعظ التفسيري

ديڤيد هيلم

الوعظ التفسيري

٩ علامات: بناء الكنائس الصحيحة

المحرِّر: مارك ديڤير وجوناثان ليمان

- الوعظ التفسيري: كيف نتكلم بكلمة الله اليوم؟ للمؤلف: ديڤيد هيلم.
- العقيدة الصحيحة: كيف تنمو الكنيسة في محبة الله وقداسته؟ للمؤلف: بوبي جاميسون.
- الإنجيل: كيف تصور الكنيسةُ جمالَ المسيح؟ للمؤلف: راي أورتلند.
- الكرازة: كيف تتكلم الكنيسةُ كلُّها عن يسوع؟ للمؤلف: جي. ماك. ستايلز.
- العضوية الكنسية: كيف يَعْرِفُ العالمُ مَن يُمثِّلون يسوع؟ للمؤلف: جوناثان ليمان.
- التأديب الكنسي: كيف تحمي الكنيسةُ اسمَ يسوع؟ للمؤلف: جوناثان ليمان.
- شيوخ الكنيسة: كيف ترعى شعبَ الله مثل يسوع؟ بقلم: جيرَمي رين.

Originaly published in English under the title
Expositional Preaching
by *Crossway*
Amazon ISBN 978-1985864009
Copyright© 2014 by Charles Simeon
All rights reserved

اسم الكتاب : الوعظ التفسيري

المؤلف : ديڤيد هيلم

ترجمة ونشر : خدمة الحق يحرركم

فريق الترجمة والتحرير: ســـامح عزمي – يوسف شكري – اليزابيث فايز – بهجت عدلي – نرمين اسحق

المطبعة : سان مارك – ت: ٢٣٣٧٤١٢٨

رقم الإيداع : ٢٠١٧/١٩١٧٩

الترقيم الدولي : **978-977-90-4898-7**

للتواصل وطلب المزيد من الكتب يمكنك مراسلتنا على:

TSF.Ministry@gmail.com

جميع حقوق الطبع في النسخة العربية محفوظة، لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب، أو أي جزء منه، أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقلها، أو استنساخه بأي شكل من الأشكال دون إذن خطي مسبق من الناشر.

خدمة الحق يحرركم

«وَتَعْرِفُونَ الْحَقَّ، وَالْحَقُّ يُحَرِّرُكُمْ» (يوحنا ٨:٣٢).

خدمة **الحق يحرركم** هي خدمة غير ربحية، تهدف لتدعيم المؤمنين كأفراد والكنيسة كجماعة بمحتوى روحي وتعليمي كتابي من أجل مجد الله وامتداد ملكوته.

نصلي أن تكون خدمتنا سبب بركة لك عزيزنا القارئ في مسيرة إيمانك.

يمكنك متابعتنا على Facebook: خدمة الحق يحرركم

https://www.facebook.com/TSFministry2016/

للتواصل وطلب المزيد من الكتب يمكنك مراسلتنا على:

TSF.Ministry@gmail.com

المحتويات

تقديم: الغاية من الوعظ التفسيري وفوائده (ميجيل نونيز) ١٣

مقدمة: عظام قديمة ٢١

١ – المواءمة مع ثقافة المستمعين ٢٧

مشكلة التمسُّك الأعمى ٢٨

الوعظ الانطباعي ٣١

الوعظ المترنِّح ٤٠

الوعظ «الموحى به» ٤٨

٢ – التفسير ٥٩

إعطاء الأولوية لما هو أكثر أهمية ٥٩

يوم بدأت أفهم ٦١

أعطِ التَّحكُّم للسياق الكتابي ٦٦

أصغِ إلى نغمة النص ٦٩

لاحظ البِنية ومحور التركيز ٧٥

٣- التفكير في الجانب اللاهوتي للنص ٨٧
طريقة يسوع ٨٨
التحدي في المنهج التاريخي - النقدي ٩١
فائدة اللاهوت الكتابي ٩٧
دور اللاهوت النظامي ١١٤

٤- اليـــوم ١١٩
تركيبة الجمهور ١٢١
ترتيب مادة العظة ١٣٢
إقامة الحُجة ١٣٩
تطبيق العظة ١٤٢

الخاتمة: العظام اليابسة ١٥٣
ملحق: أسئلة يطرحها الوعَّاظ ١٥٥
شكر خاص ١٥٩

«كتـــب ديڤيد هيلم واحدًا من أكثر الكتـــب المفيدة والموجزة والنافعة عن الوعظ التفسيري التي قرأتها على الإطلاق».

القس مات تشـــاندلر قائد كنيســـة فليدج في دالاس بولاية تكساس
قائد خدمة «Acts 29 Church Planting Network»

«لو كنت أُدَرِّس أحد الفصول عن الوعظ، وكان بإمكاني تكليف الطلاب بقراءة كتاب واحد فقط، ســـيكون على الأرجح هذا الكتاب. إنه اكتشاف نادر حيث يقدم الموضوع للمبتدئ ويعلِّم ذا الخبرة. إن تواضع ديفيد جعلني أشعر بخطيتي ووبخني وعلمني وشـــجعني كواعظ. أصلي أن يفعل الشـــيء نفسه معك».

القس مارك ديڤير راعي كنيســـة كابيتول هيل المعمدانية بواشنطن
العاصمة وقائد خدمة «9Marks»

«إن مهارات ديڤيد هيلم كواعظ وخبرته الواســـعة كمُدرِّس للوعاظ، تعطي لمـــا يقوله في هذا الموضوع قيمة كبيـــرة. ولكني قرأت له بأعظم تقدير لأن أوضح التزاماته هي: الالتزام بالنص، وعدم الزيادة على نص الكتاب المقدس لقول أكثر مما يقوله الكتاب، وعدم قول أقل مما يقوله النص بتقليل قوته أو ملئه. وهنا لا يقتصر الأمر على مجرد مهارة وحكمة، بل يشمل أيضًا أمانة وإخلاص يخرج منها أصدق كنوز الوعظ».

بريان تشـــابل، الرئيس الفخري لكلية لاهوت العهد، وراعي كنيسة النعمة المشيخية في يوريا بولاية إلينوي.

«قدم هيلم لنا كتابًـــا مختصراً متقنًا جيدًا ومقنعًا تمامًا، لما نحتاج لفهمه وعمله حتى نعظ بالكلمة بأمانة. إنه كتاب مهم».

كنِت هيوز، قس متقاعد في كنيسة كوليدج، ويتون، إلينوي

«في هذا الكتاب الصغير، اســـتخلص ديڤيد هيلم مبادئ وأفكاراً رئيســـية كانت ســـببًا في تشـــجيع الكثيرين في وِرَش عمل الوعظ التي تقدمها أمانة تشـــارلز سيمون. ورأيت رجالًا يعودون للاشـــتراك في العمل الشاق للإعداد للوعظ بينما علّم ديڤيد بهذه المادة. أصلِّي أن تتضاعف النتيجة نفســـها من خلال هذا الكتاب».

بول ريس، أكبر قسوس تشارلوت تشابل في أدنبره بإسكتلندا

«أحـــب رؤية صدمة النـــاس عند معرفة أن الوعظ التفســـيري هو أول علامة من «التسع علامات للكنيسة الصحية». ويؤكد كتاب الوعظ التفسيري هذه الأولوية ويشـــرحها. يضع ديڤيد هيلم تحديًا مثيراً لجعل الرسالة واضحة وصحيحة. أصلِّي أن يُسَر الله بأن يستخدم هذا الكتاب لمساعدتك في الوعظ بأمانة من أجل صحة الكنيسة ومجد الله» .

إتش. بي. تشـــارلز الابـــن، راعي الكنيســـة المعمدانية شـــيلوه متروبوليتان، جاكسونفيل، فلوريدا

تقديم

الغاية من الوعظ التفسيري وفوائده

ميجيل نونيز

تناولت كتب كثيرة موضوع الوعظ التفسيري في السنوات العشر الأخيرة أو نحو ذلك. لا يُعد الوعظ التفسيري فكرة جديدة، أو مصطلحًا جديدًا، أو حقيقة اكتُشِفَت حديثًا. فالمسيح قدم وَعْظًا تفسيريًّا في (لوقا ٢٤: ١٧ ـ ٤٧)، وهكذا فعل بولس في (أعمال ١٧: ٢٢ – ٣١) أَذكُرُ هاتين الفقرتين لأن ديفيد علَّق عليهما في الفصل الثالث بعنوان «التفكير في الجانب اللاهوتي للنص»). وقد أدرك العديد من الوعَّاظ العظماء في الماضي قوة الوعظ التفسيري.

إن كان الأمر هكذا، فما سبب هذا التشديد الكبير على الموضوع مؤخَّراً؟ يمكن عرض العديد من الإجابات المختلفة، لكن – بإيجاز – إن سبب الكثير من الاعتلالات التي أصابت الكنائس اليوم وأمسًا يرجع، إلى حد كبير، إلى الوعاظ والمعلمين الذين لم يُعَلِّموا بكلمة الله ويعظوا بها تفسيريًّا.

الغاية من الوعظ التفسيري

إن الغاية من الوعظ التفسيري – كما سنرى في هذا الكتاب – هي فهم قصد الكاتب الأصلي في النص الكتابي، وشرحه لأبناء الجيل الحالي حتى يفهموا النص، ويطبقوه على حياتهم على رجاء أن يتشبَّهوا بصورة المسيح. والمنهجية بسيطة، لكنها ليست مفرطة في البساطة: اقرأ النص، واشرحْه، وطَبِّقْه. اتَّبَعَ عزرا الكاتب في زمن نحميا هذا النمط وخَدَمَ كقدوة صالحة لنا: «**وَقَرَأُوا فِي السِّفْرِ فِي شَرِيعَةِ اللَّهِ بِبَيَانٍ وَفَسَّرُوا الْمَعْنَى وَأَفْهَمُوهُمُ الْقِرَاءَةَ**» (نحميا ٨:٨). لاحظ هذه العبارات الثلاث المهمة: «قرأوا ببيان، أي بوضوح، وفسَّروا المعنى، والناس فهموا. بعد أن يقرأ الواعظ النص، إن كان مفسراً أمينًا، لن يُقحِم رأيه على النص فهو لم يُوحِ به أو يكتبه، فتلك وظيفة المؤلف، أي الله. وهذا وحده يعطي التفسير الأمين لكلمة الله والمناداة بها الأهمية العظمى.

إن كنا نؤمن بأن كلمة الله موحى بها على نحو معصوم من الخطأ، وأنها تُعبّر عن فكر الله، وقلبه، ومشيئته، علينا أن نحترس من الزيادة على ما استلمناه من الله أو الحذف منه. بالإشارة إلى العهد القديم، تكلَّم الله إلى موسى من العلَّيقة المشتعلة قائلًا: «لا تَقْتَرِبْ إِلَى هٰهُنَا. اخْلَعْ حِذَاءَكَ مِنْ رِجْلَيْكَ لأَنَّ الْمَوْضِعَ الَّذِي أَنْتَ وَاقِفٌ عَلَيْهِ أَرْضٌ مُقَدَّسَةٌ» (خروج٣:٥). لسنا موسى، والله لا يتكلم، الآن، من عليقة مشتعلة،

لكن الذين يعظون قد اســتؤمِنوا على أن يتكلموا بكلمته المعصومة من الخطــأ. وفي كل مرة نفتح فيها النــص، نحتاج نحن أيضًا إلى إدراك أننا على وشــك أن نطأ أرضًا مقدسة. ينبغي أن يتحلى الواعظ باتجاه قلبــي يتميز بالاحترام والهيبة في كل مرة يقترب إلى كلمة الله. إن ذلك الاتجاه القلبي الذي يُظهره الوعاظ نحو كلمة الله من فوق المنابر، هو موقف مُعْدٍ سواء كان اتجاه قلبي جيد أو سيء.

يرتبط الوعظ التفســيري بالحق، والســلطان، والقوة. ولا شيء مما ســبق تحت سيطرة الواعظ، ولكنها ســمات تمتلكها كلمة الله الموحى بهــا. لا تنبع قوة الواعظ من مهارة بشــرية أو من فصاحة مُدَرَّبة؛ بل ترتبط القوة ارتباطًا جوهريًّا بوحي كلمة الله؛ لأنها صادرة من الشخص ذاته الذي تكلم في بداية الخلق، وكان قادراً على خلق الكون ومليارات المجــرات من العدم (تكوين ١، ٢). وهذه الكلمة نفســها تحمل الكون اليوم وتحفظه (العبرانيين ١:٣)، وتُحيي أولئك البشر الذين كانوا أمواتًا روحيًّا (بطرس الأولى ١:٢٣). لماذا إذن يلجأ المرء إلى تخفيف رسالة الله؟ إنه يُضعِفُ بذلك ما أوحى به الله بقوته لتحقيق غايته وقصده. إن كلمات جون فريم (John Frame) مناسبة للغاية لهذه الفكرة: «أيًّا كان ما يفعله الله، فإنه يعمله بكلمته؛ وأيًّا كان ما يعمله الله، تعمله كلمة الله».[1]

1. John Frame, The Doctrine of the Word of God (Phillipsburg, NJ: P&R Publishing Company, 2010), 55.

فوائد الوعظ التفسيري

للوعظ التفسيري فوائد عظيمة. في المقام الأول، نحن نُكرم الله واسمه. إن شخصية الله مرتبطة باسمه وبكلمته. شهد الله عن ذلك في (مزمور ١٣٨:٢): «**لأَنَّكَ قَدْ عَظَّمْتَ كَلِمَتَكَ عَلَى كُلِّ اسْمِكَ**». في ترجمة أخرى (ALAB): "لأنك عظَّمتَ كلمتك واسمك فوق كل شيء".. في القديم، كان يُعتبَر الشخص صالحًا بقدر صلاح اسمه. لذا حمى الله اسمه في واحدة من الوصايا العشر الأولى التي أعطاها لشعب إسرائيل. لكن الله رفع كلمته أيضًا؛ فإذا سقطت كلمته، هكذا يسقط اسمه وكيانُهُ. يسعى الوعظ التفسيري إلى معنى الرسالة التي أعطاها الله، مدركًا أن الله لن يُكرم إلا كلمته المقدسة، التي تنبع من شخصيته المقدسة.

ثانيًا، من خلال الوعظ بكلمة الله، يوضح الواعظ جليًّا للجمهور أنه يثق في القوة المتأصلة في كلمة الله ويتَّكل عليها وليس على كلمته الشخصية أو كلمة أي إنسان.[2] مَدَحَ بولس أهل تسالونيكي بقوله: «مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ نَحْنُ أَيْضًا نَشْكُرُ اللهَ بِلاَ انْقِطَاعٍ، لأَنَّكُمْ إِذْ تَسَلَّمْتُمْ مِنَّا كَلِمَةَ خَبَرٍ مِنَ اللهِ، قَبِلْتُمُوهَا لاَ كَكَلِمَةِ أُنَاسٍ، بَلْ كَمَا هِيَ بِالْحَقِيقَةِ كَكَلِمَةِ اللهِ، الَّتِي تَعْمَلُ أَيْضًا فِيكُمْ أَنْتُمُ الْمُؤْمِنِينَ» (١ تسالونيكي٢:١٣). يتعلم

2. John Stott, Between Two Worlds: The Challenge of Preaching Today (Grand Rapids: William B. Eerdmans Publishing Company, 1982), 132.

الناس الثقة في ما يثق به الواعظ ويحترمه؛ ولا شيء يحقق هذه الغاية مثل الوعظ التفسيري بكلمة الله.

ثالثًا، يُثبِّت الوعظ التفسـيري بكلمـة الله الواعظ بعمق في النص، حتـى يكون النص هو المتحكم فـي الواعظ. بهذه الطريقة يكون لدينا أفضـل ضمان بأن ما نعظ به هو كلمة الـرب في هذا النص بعينه. وعندما لا يكون الواعظ ثابتًا في الحق الإلهي، من الممكن أن ينجرف بسهولة جدًّا برياح الحكمة البشرية.

رابعًا، لأن الواعظ يعظ كلمة الله، سـيؤيد الله الرسالة، وبالتالي من المحتمل جدًّا أن يرى السامعون الواعظ باعتباره رجلًا له سلطان، وليس كمـا كان الجمهور ينظرون للكتبة (متـى٧:٢٨). إن التعليم والوعظ بسـلطان ليس معناهما أن يكون الواعظ شـخصًا متسلِّطًا. فالسُلطان الحقيقي والإلهي يُرى في الإنسـان حين يكون مشتعلًا بالحق الإلهي. وإذ تراه مشـتعلًا من أجل الله، فالآخرون يشعرون بالحرارة وبالانجذاب للشخص محور العظة، يسوع.

إن الوعظ التفسيري مركزه المسيح من بدايته إلى نهايته. يذكر العهد الجديد أربع كلمات أساسـية متعلقـة بالوعظ بكلمة الله. الكلمة الأولى هي kerysso. في كل المرات تقريبًا التي اسـتُخدِمت فيها الكلمة، كان

الإنجيل أو يســـوع هو الهدف.[٣] وتتمثل الكلمة الثانية في euaggelizo. وقد اســـتُخدِمت هذه الكلمة في سياق المناداة بالأخبار السارة (المتعلقة بيســـوع المسيح).[٤] وتعد الكلمة التالية هي martureo التي تعني ضمنيًا تقديم شـــهادة (عن حق يسوع المسيح).[٥] وأخيراً، تأتي كلمة didasko،[٦] التي تعني «يُعلِّم» أو «يلقن» وتشـــير عادة إلى ما كان يسوع يعلِّمه. من خلال هذه الكلمات الأربع، يمكن للمرء رؤية أن العهد الجديد مركزه المسيح.[٧] وينبغي أن يكون المسيح مركزنا نحن أيضًا حين نصعد إلى المنبر لنعظ.

خامسًا، يســـاعدنا الوعظ التفسيري على تجنب سوء تفسير النص، حيـــن نعجز عن التوصُّل إلى إعلانه، أو نعطيه معنى أبعد من معناه الحقيقـــي، أو نحرِّفه تمامًا.[٨] قد تنتهي بنـــا أي من هذه الأخطاء إلى

3. Walter A. Elwell, ed., Evangelical Dictionary of Theology (Grand Rapids: Baker Academics, 2001), s.v. “Preach, Proclaim,” by Hobert K. Farrell.

4. Joseph H. Thayer, Thayer’s Greek-English Lexicon of the New Testament (Peabody: Hendrickson Publishers, 1996), s.v. “Euaggelizo.”

5. Joseph H. Thayer, Thayer’s Greek-English Lexicon of the New Testament (Peabody: Hendrickson Publishers, 1996), s.v. “Martureo.”

6. Joseph H. Thayer, Thayer’s Greek-English Lexicon of the New Testament (Peabody: Hendrickson Publishers, 1996), s.v. “didasko.”

7. Adapted from Miguel Núñez, The Power Of God’s Word To Transform A Nation: A Biblical and Historical Appeal to Latin American Pastors; doctoral thesis presented to the faculty of the Southern Baptist Theological Seminary, Nov. 11, 2014.

8. Ramesh Richard, Preparing Expository Sermons (Grand Rapids: Baker Books, 2005), 46.

الوعظ بأكاذيب بدلًا من الحق. لا يريد كل من الدارس الجاد لكلمة الله والواعــظ الجاد بها أن يخطئا في أي من هذه الاتجاهات. حذَّر بولس تيموثاوس بهذه الكلمات: «**اجْتَهِدْ أَنْ تُقِيمَ نَفْسَــكَ للهِ مُزَكّىً، عَامِلًا لاَ يُخْــزَى، مُفَصِّلًا كَلِمَةَ الْحَقِّ بِالاِسْــتِقَامَةِ**» (٢ تيموثاوس٢:١٥). إن تفصيل كلمة الله بالاستقامة يصون العامل فلا يُخزى كمُعلم أمام الله.

أخيراً، يُدرِّب الوعظ التفســيري المستمع على الاستماع التفسيري، حتى حين يســمع أنواعًا أخرى من الوعظ يكــون مُجهَّزاً جيدًا لتمييز الخطأ. وهذه وظيفة حيوية لما يعنيه تعليم الرعيَّة ورعايتها.

الآن، بينمــا ننتقــل إلى حديث دقيق عن «كيفيــة» القيام بالوعظ التفســيري، لديَّ سؤال واحد فقط: مع كل الفوائد التي يتميز بها الوعظ التفسيري، لماذا يرغب أي شخص في الوعظ بطريقة مختلفة؟

مقــدمة

العظام القديمة

يرقــد جثمان ذلك الرجل العظيم في مدفن عائلي أســفل الأرضية الحجرية لكنيسة كلية الملك في مدينة كامبريدج بإنجلترا، داخل المدخل الغربي مباشرة. وقد كتب على المدفن شيئان هما: "CS" (أي الحروف الأولى من اسم تشارلز سيمون) والسنة التي تُوُفِّي فيها هذا الرجل وهي "١٨٣٦". وقد نُقشَــت كلا العلامتين على الرصيف الحجري المملوء بالرَّصــاص. إن أُتيحت لك الفرصة يومًا أن تقف هناك – مثلما فعلتُ أنــا في رهبة – فاعْلَم أن العظام القديمــة التي ترقد تحت قدميك هي لرجلٍ أعاد الكتاب المقدس إلى مركز حياة الكنيسة في إنجلترا.

كان يومًا حزينًا من أيام شــهر نوفمبر ١٨٣٦ عندما حضر جنازة تشارلز سيميون (Charles Simeon) ما لا يقل عن ١٥٠٠ رجل يرتدون رداءً خاصًّا بالمناسبة. جاء المودعون بأعداد غير مسبوقة ليعبروا عن احترامهم لهذا الراعي والواعظ.[٩]

٩– من أجل المزيد من التفاصيل حول جنازة تشارلز سيمون وموضع دفنه، أُدين بالفضل لويليام كاروس.
William Carus, Memoirs of the Life of the Rev. Charles Simeon (London: Hatchard and Son, 1847), 582-83.

كان تشارلز سيمون عطية من الله للشعب في جيله، كما أنه عطية لجيلنا أيضًا. فحسه وبديهته الخاصة بالإنجيل صمدت في وجه الزمن. وهـــي ذاتها بإمكانها من جديد أن تترك أثـــراً على الوعظ في عصرنا هذا.. لأن وعظ ســـيمون اتَّســـم بشـــيء يفتقر إليه الكثير من وعظنا اليوم.

ما الذي نفتقر إليه؟ وكيف يمكننا الاستفادة منه؟

من المدهش أن الإجابات عن هذا الســـؤال بســـيطة، وتَقودنا إلى جوهر ذلك الشـــيء الذي يُسمَّى الوعظ التفســـيري. كانت قناعة ذلك الرجل العظيم بالكتاب المقدس هي مصدر تأثيره. كان تشارلز سيمون يؤمن بأن تفسير الكتاب المقدس ببساطة ووضوح هو ما يجعل الكنيسة تنعم بالصحة والسعادة. يقوم الشرح التفسيري الكتابي بالعمل المضني لبناء الكنيســـة وتقويتها. لم يتخلَّ تشارلز سيمون قط عن هذا الإيمان الراســـخ. على مدار أربع وخمسين ســـنة، ومن خلال خدمته الرعوية لكنيســـة هولي ترينيتي فـــي كامبريدج بإنجلترا، كرس نفســـه بلا كلل لأولوية الوعظ. وأســـبوعًا تلو الآخر، وســـنة تلو الأخـــرى، وعِقدًا تلو الآخر، كان يقف أمام كنيسته معلنًا كلمة الله بوضوح، وببساطة، وبقوة. وقد عبَّر عن قناعته بالوعظ التفسيري على النحو التالي:

«أســـعى جديًّا أن أُخرِجَ من النص الكتابي ما هو موجود فيه بالفعل، لا ما أظن أنه موجود فيه. لديَّ غيرة شـــديدة

علـــى هذا الهدف؛ ولن أتكلم البتة أكثر ولا أقل مما أؤمن أنه فِكر الروح القدس في النص الذي أشرحه وأفسره».[١٠]

رأى تشارلز سيمون أن واجب الواعظ التقيُّد بالنص. لذا كان ملتزمًا بالبقاء على هذا المســـار، لم يَسمُ قط على النص الكتابي ليقول أكثر مما يعنيه النص، ولم ينزل البتة دون النَّص فيقلل من قوته أو كماله.

يفتقـــد الذيـــن يتعاملون مع كلمة الله اليوم هـــذه القناعة أي ضبط النفس بهذه الطريقة الناضجة. وبصراحة يُعد ذلك ســـبب ضياع عدد كبير جدًّا من كنائسنا بما في ذلك تلك الكنائس التي لها عقيدة سليمة. إن الكثير مما نظن أنه وعظ كتابي ســـليم يخطىء الهدف بسبب عدم ضبط النفس. دعوني أكون أول من يُقِرُّ بأني لم أكن أمارس دومًا ذلك الانضباط؛ إذ لم أكن معتادًا أن لا أُخرج من الكتاب المقدس ســـوى ما هو موجود فيه. أُصلي أن يســـتخدم الله هـــذا الكتاب الصغير، ضمن أشـــياء أخرى، ليعين أي شخص يريد استكشاف الطرق التي يمكن بها لكل معلم وواعظ بالكتاب المقدس اكتساب هذه القناعة من جديد.

لكن ليســـت قناعة ســـيمون وحدها التي تستحق أن توضع في الاعتبار؛ نحتاج إلى استعادة أهداف سيمون في الوعظ. فقد نجح في وضع إطار مُحكم لأهدافه من الوعظ التفسيري على النحو التالي:

10. Handley Carr Glyn Moule, Charles Simeon (London: Methuen & Co., 1892), 97.

لجعل الخاطئ يتَّضع؛
لتمجيد المخلِّص؛
للتشجيع على القداسة.[11]

لا حاجة لتوضيح أكثر من ذلك، إذ ينبغي لهذه الأهداف أن ترشدنا اليوم. إن عالمنا، مثله في ذلك مثل عالم سيمون، يحتاج بشدة أن يعرف عمق الهوة التي سقطت فيها البشرية، ومدى العُلْو الذي صعِد يسوع المسيح إليه، وما يطلبه الله من شعبه. إن أفضل طريقة، بل الطريقة الوحيدة، لمساعدة هذا العالم هي التكلم بكلمة الله بقوة الروح القدس. كيف سنفعل ذلك؟ وما الطريقة؟

نجد الإجابات في الوعظ التفسيري الذي هو الوعظ بقوة وسلطان يُخضِع بالحق بِنية العظة ومحور تركيزها لبنية النص الكتابي ومحور تركيزه. وكما يقول سيمون بهذه الطريقة يُخرج من النص ما وضعه الروح القدس، ولا يضع في النص ما يظن الواعظ أنه موجود فيه. إن العملية أكثر تعقيدًا من ذلك قليلًا. وهذا ما سنتناوله في بقية هذا الكتاب.

سنبدأ بالتفكير في الأخطاء التي يرتكبها العديد منا، تلك الأخطاء التي تَنتج خصوصًا من محاولتنا لملاءمة العظة مع السياق الثقافي

11. Charles Simeon, Horae Homileticae (Grand Rapids, MI: Zondervan, 1847), xxi.

للمســـتمعين. بعد ذلك ســـنتأمل في التحديات ومتطلبات تفسير النص وفهمه في ضوء الأســـفار القانونية الأخرى، ثم الوعظ به في ســـياقنا اليوم.

مع أن هذا الكتاب يصلح أن يكون مقدمة للوعظ التفســـيري، فإني أرجو أن يجد الشـــخص الذي يعظ أو يُعلِّم الكتاب المقدس بالفعل في هذا الكتاب مقياسًـــا مفيدًا يفحص ما يعمله الآن. غالبًا قُصِدَ من هذا الكتاب أن يعمل كمتابعة لك، أي كوسيلة لتعطيك الفرصة لتسأل نفسك: «حســـنًا، هل هذا هو ما أعمله؟ هل حقًا لا أُخرِج من الكتاب المقدس ســـوى ما هو موجود بالفعل؟ هل أفعل ذلك بطرقٍ تُخضِع السامعين، وتُمجِّد المخلِّص، وتشجع على القداسة في حياة الحاضرين؟».

إن مقتضيات الوعظ التفســـيري وتحدياته كثيـــرة، وإحراز تقدم في قدرتنا علـــى التعامل مع كلمة الله بأمانة لن يكون أمراً ســـهلًا. لكني على يقين من هذا: إن سمح الوعاظ وقادة الكنيسة اليوم لبساطة قناعة ســـيمون وأهدافه أن تتكلم إلينا من القبر، سيكون من الممكن استعادة عافية الكنيسة وسعادتها.

إذن، لنبدأ.

١

المواءمة مع ثقافة المستمعين

تُعد المواءمة مع ثقافة المستمعين ضرورية للشرح التفسيري الجيد. إن مخطوطات العظات التي لدينا من القديس أغسطينوس تقود البعض إلى الإقرار بأنه أعدها جيدًا جدًّا.

> بالتالي عندما طرح أغسطينوس أفكاراً عن المجتمع مأخوذة مباشرة من الكتابات الكلاسيكية الوثنية، لا ينبغي أن نظن أنه كان يفعل ذلك كفعل واعٍ لإثارة إعجاب الوثنيين بثقافته أو أنه كان يستميلهم إلى الكنيسة باقتباسه من كتَّابهم المُفضَّلين. قد فعل ذلك دون تفكير مثلما نفعل ذلك اليوم حين نقول إن الأرض كُرَوِيَّة... وقد قدم الكثير مما كان عليه قوله... بصفتها أموراً منطقية.[١٢]

أحب ما يُعلمنا إياه موقف أغسطينوس من المواءمة مع ثقافة المستمعين عن علاقته بالوعظ. كانت قدرته المذهلة على الاتصال

12. Peter Brown, Through the Eye of a Needle (Princeton, NJ: Princeton University Press, 2012), 54.

بمستمعيه نتيجة لاهتمامه العام بالحياة؛ لم تكن نتيجة محسوبة جاءت من خلال جمعه لعناصر من ثقافتهم على أمل أن يبدو أكثر صلة بهم. سيعالج هذا الفصل المشكلات التي تنشأ حين يستولي هذا النوع من المواءمة لثقافة المستمعين على الواعظ عند تحضيره للعظة.

رأينا في المقدمة لمحة صغيرة عما يجب أن يكون عليه الوعظ التفسيري. إنها محاولة لإخراج ما هو موجود بالفعل في النص الكتابي، وعدم إقحام ما لم يضعه الروح القدس في النص أبدًا، وعمل هذا بطرق تجعل المستمع يتَّضع بحق، وتمجِّد المخلِّص، وتشجع على القداسة في حياة الحاضرين. ومع أننا لم نشرح بعد كيف يمكن للعظة أن تحقق كل هذا، فالأمر يستحق أن نأخذ بعض الوقت هنا لنتأمل بعض الطرق الشائعة التي يمكن بها لوعظنا أن يُخطئ الهدف.

مشكلةُ التَمَسُّكِ الأعمى

ما الذي أقصِده بمواءمة العظة لثقافة المســـتمعين؟[١٣] هذه المواءمة الثقافية هي ببساطة توصيل رسالة الإنجيل بطرقٍ مفهومة للمستمع أو ملائمة لســـياقِه الثقافي. إنها طريقة التفكير في الوعظ التي تُركِّز على المســـتمعين. بعبارة أخرى، تهتم المواءمة الثقافية بنا **نحن** و**الآن**. إنها طريقة لوصف التزام الواعظ بأن يكون وعظه ذا صلة بالمستمع وقابلًا للتطبيق اليوم. ولهذا ســـأقدِّم المدخل البنائي لفهم الموضوع في الفصل الرابع.

مع ذلك، تتمثل واحدة من مشكلات الوعظ اليوم في الاهتمام الشديد بالمواءمـــة الثقافية في غير محلهـــا. يتعامل بعض الوعاظ مع النص الكتابي بطريقة عشوائية وفاترة عندما يرفعون من قيمة المواءمة الثقافية كأنها فرع من فروع المعرفة المدروسة التي تركز بإفراط على المكاسب العملية. وهذه هي مشكلة **التمسُّك الأعمى**. بدافع الرغبة الصحية التي يسعى بها الواعظ لتَقَدُّم إرسالية كنيسته إلى الأمام، لا يُركِّز في إعداده للعظة **سوى** على الطرق المبتكرة والفنية حتى يستطيع أن يجعل عظته مُلائِمة لمســـتمعيه وذات صلة بهم، ويعطيهم مـــا يريدونه. وبدلًا من البحث في النص بمثابرة وتوصيله للمســـتمعين بطريقة مناسبة، تصبح العظة منســـاقة حصريًـــا لما يطلبه الجمهور. ويـــؤول الوضع إلى ما

١٣- هذا الخط المرسوم الذي يظهر طوال الكتاب هو مشاركتي في رسم بياني قام به منذ فترة من الزمن إدموند كلوني في كتاب «المسيح في كل الكتب» Christ in All of Scripture (Wheaton, IL: Crossway, 2003), 32. لقد بذلت جهدًا كبيراً فيه كما يفعل الموسيقيون مع ترنيمة قديمة ويكتبون لها توزيعًا موسيقيًّا جديدًا.

حذَّر بولس تيموثاوس منه: «لأَنَّهُ سَيَكُونُ وَقْتٌ لاَ يَحْتَمِلُونَ فِيهِ التَّعْلِيمَ الصَّحِيحَ، بَلْ حَسَبَ شَهَوَاتِهِمُ الْخَاصَّةِ يَجْمَعُونَ لَهُمْ مُعَلِّمِينَ مُسْتَحِكَّةً مَسَامِعُهُمْ، فَيَصْرِفُونَ مَسَامِعَهُمْ عَنِ الْحَقِّ، وَيَنْحَرِفُونَ إِلَى الْخُرَافَاتِ» (٢ تيموثاوس ٤: ٣، ٤).

فكِّر بالأمر.. يقضي بعض الوعاظ المزيد من الوقت في القراءة والتأمل في سياقنا الثقافي أكثر مما يقضيه في كلمة الله. ونتورط في الوعظ عن عالمنا أو مدينتنا محاولين أن نكون أكثر صلة بالمستمعين. نتيجة لذلك، نقبل تقديم انطباعات سطحية عن النص، وننسى أن النص الكتابي **هو** كلمة الله ذات الصلة بالمستمع. لذلك، يستحق منا بذل قصارى جهدنا في التأمل فيه وشرحه.

بعبارة أخرى، يخطئ الواعظ حتمًا الهدف الخاص بالشرح الكتابي إن سَمَحَ للسياق الثقافي لمستمعيه الذين يريد أن يربحهم للمسيح بأن يتحكم في كلمة الله التي يعظ بها عن المسيح. وكما قُلت في المقدمة، هذا هو سبب خراب الكثير من كنائسنا. يعتقد الكثيرون منا دون وعي أن فهمهم الجيد لبيئتنا الثقافية، وليس الكتاب المقدس، هو المفتاح للوعظ بقوة.

يُغيِّر **التمسُّك الأعمى بالمواءمة الثقافية** (أي الاستخدام غير الصحيح للمواءمة الثقافية) وعظنا بثلاث طرق على الأقل. ليس أي منها تغيير للأفضل. أولًا، يُفسد التمسك الأعمى بالمواءمة الثقافية

منظورنا للدراســة؛ أثناء تحضير العظة، حيث ينشــغل الواعظ بالعالم بــدلًا من كلمة الله. ويقود ذلك إلى **الوعظ الانطباعي**. ثانيًا، هو يُغيِّر استخدامنا للعظة؛ حيث تصبح كلمة الله مدعِّمة لخططنا وأهدافنا التي أفقدتنــا صوابنا، بدلًا من أن تدعِّم خطط الله وأهدافه. وهذا هو **الوعظ المترنح (المشــوش/ المرتبك/ الفاقد للتمييز بين الأشــياء)**. وأخيراً، الاســتخدام الخاطئ للمواءمة الثقافية يغيِّر فهمنا للسلطة، حيث تصبح قراءة الواعــظ التعبدية «الحديثة» و»المنقادة بالروح» هي نقطة الحق الفاصلة والباتة. وأطلق على ذلك **الوعظ «الموحَى به»**.

لنلــقِ الآن نظرة عن كثب على كل واحدة من هذه الطرق. وأعتقد أننا ســنجد أن بعضًا مما نعتقد أنه وعظ تفســيري يخطئ بالفعل في إصابة الهدف.

الوعظ الانطباعي

في ١٨٥٠م، كان الأســلوب الفني السائد هو **الواقعية**. كانت هذه الحركــة تهدف إلى وصف مــا كان يراه الفنان بالفعــل، على أقرب نحــو ممكن. كان تصويراً أقرب إلى التقــاط صورة فوتوغرافية. حاول أتباع هذه الحركة تصوير الأشــياء بطريقــة تعكس الواقع بحق. كان **كلود مونيه** (Claude Monet) **وبيير أوجاســت رينوار** (Pierre Auguste Renoir) طالبين شــابين تدربا على الواقعية. وقد نشأت بينهما صداقة، وبدءا، وآخرون معهما، في الرسم معًا. كان هذا الجيل الشاب يميل إلى

اســـتخدام ألوان أكثر لمعانًا مما اعتاد عليه معلموهم الواقعيون، وكانوا يُفضِّلون رسم الحياة المعاصرة على المناظر التاريخية أو الأسطورية، وتخلوا عمدًا عن رومانسية الأجيال السابقة أيضًا.

بدأت نقطة التحول لمساعدة هؤلاء الفنانين الشباب وتعريف أنفسهم كجماعـــة فنية عام ١٨٦٣ في «**معرض باريـــس**» **(salon de paris)** وهو معرض ومســـابقة فنيـــة. رفض المُحَكِّمون عـــددًا كبيراً جدًّا من قطعهـــم الفنية، حتى عُقِد لاحقًا معرض آخـــر بديل بعنوان «**معرض المرفوضات**» **(Salon des Refuses)**.[١٤] وخلال السنوات العشر التالية، راح الفنانون الشبان يلتمســـون إقامة معارض بديلة مستمرة لأساليبهم الفنية الجديدة في الرسم، غير أنهم لَقَوا الرفض على نحو منهجي.

في ١٨٧٣، شكل مونيه، ورينوار، وكثيرون آخرون جمعية تعاونية للفنانيـــن غير المعروفين لعرض أعمالهم بطريقة مســـتقلة. وأقيم أول معـــرض عام لهذه المجموعة الجديدة فـــي أبريل ١٨٧٤م في باريس. ولكن أســـلوبهم تغيَّر أكثر. بدأ رينوار بتجربة **تغيير واقع** ما كان يراه، وهـــو ابتعاد ملحوظ عن الواقعية. أما مونيه فقد بدأ يرســـم بالفرشـــاة بطلاقة. وقد أعطى هذا شكلًا فنيًا عامًّا لما رآه بدلًا من الأداء الدقيق، الذي كان لا يزال الجيل الأقدم يفضله. وعلى ســـبيل المثال، فإن لوحة مثل «الانطباع وشـــروق الشـــمس» تصف منظر ميناء لوهافْر عند

14. Bernard Denvir, The Thames and Hudson Encyclopaedia of Impressionism (London: Thames and Hudson, 1990).

شـــروق الشمس. وإدراك مونيه أن اللوحة ليســـت منظراً واقعيًا للميناء جعله يضيف كلمة «انطباع» إلى عنوان اللوحة حين سُـــئل عن اســـم هذه اللوحة. وقد اســـتخدم أحد النقاد هذا العنوان لاحقًا للســـخرية من الفنانين، حيث أطلق عليهـــم «الانطباعيون». فقد كانت حركة جديدة ومتميزة من حيث الفن الذي قدمته والفنانين أيضًا.

واحـــدة من الابتكارات الأكثر جرأة لهذه الجماعة هي اســـتخدامها للضوء. على ســـبيل المثال، تصور لوحة رينوار بعنوان «الرقص في مولان دو لاجاليـــت» (Dance at Moulin de la Galette) التي رســـمها ســـنة ١٨٧٦ حفلًا راقصًا في حديقة تابعـــة لمقاطعة مونتمارتري في باريس. وفي اللوحة اســـتخدم رينوار اللـــون الأبيض في الأرضية أو أعلى سترة زرقاء ليشير إلى شروق الشمس هناك. ويبالغ تغيير الضوء في التفاصيل، ويُحرّف ما كان يراه الفنان بالفعل.

تأخذ الطريقة الانطباعية ما تراه العين وتفسره، وتبالغ في تصويره، وتتجاهل أجزاء منه، وفي النهاية تشوهه.

الآن فكِّر فيما تفعله حين تجلس لتحضير عظة؛ حيث تفتح كتابك المقـــدس؛ ولا يتوفر لك الكثير من الوقت. ربما لديك اجتماع أو اثنين هذا المســـاء. وربما لديك عائلة أو موعد مع أحد الخدام لترشده. وبلا ريب أنت مشـــغول للغاية بمهام كثيرة جدًّا تخصُّ عملَكَ الرعوي، لكنك تحتاج أن تقول شـــيئًا في يوم الأحد. لذلك تبدأ سريعًا في قراءة النص

الكتابي، وتُدوِّن بعض الملاحظات على الحاسوب بالطريقة التي يتفاعل بها الفنان مع لوحته: ضربات سريعة بالفرشاة، وربط مشبَّع بالألوان بين كلمة الله والعالم كما تعرفه أنت.

تبحث عن أشياء تعرف أنها ستترك **انطباعًا** فوريًا على مستمعيك. فتبدأ تستمتع بهذه التلهية الوقتية. المهمة ليست صعبة؛ وسرعان ما تبرز الفكرة الرئيسية. لقد استخدمت المواءمة الثقافية جيدًا حتى الآن، ومثلك في ذلك مثل جماعة المؤمنين في كنيستك يوم الأحد، فأنت لست شغوفًا بدرجة كبيرة بالمعلومات والخلفيات التاريخية. وفي الواقع، من أسباب حصولك على هذا المنصب هو أنهم انبهروا ببراعتك في إلقاء عظات مثيرة للانتباه باستخدام واقعية مشاهد الكتاب المقدس القديمة التي يتعذر فهمها. ولكن الدراسة التفصيلية للنص يمكنها الانتظار.

ستركز عظة هذا الأسبوع، مثل عظة الأسبوع الماضي، على الانطباعات الملائمة للمستمعين التي تستخلصها من النص الكتابي. تبدو التطبيقات بالفعل بارزة وواضحة كأشعة الضوء أمامك لتوزعها على الرعية بألوان قوية ومبهرة. ثم تلقي نظرة سريعة إلى ساعتك لتتبين الوقت، لتجد أنك تعمل منذ ربع ساعة. هذا هو الوعظ الانطباعي.

إنه يحدث كثيراً. وفي الواقع، وقد يكون هو المشكلة الأكبر التي تواجه الوعاظ اليوم، إن الوعظ الانطباعي لا تُقيِّدُهُ واقعيةُ النَّص؛ حيث يتجاهل الإطار التاريخي، والأدبي، واللاهوتي للنص، ويتجاوز في

غضون دقائق العديد من الأدوات التفسيرية التي صَرَفْتَ وقتًا ليس بقليل في وضعها. وفي حين ينظر الرسَّام الواقعي إلى موضوع اللوحة عشر مرات قبل أن يضرب بفرشاته ضربة واحدة، ينظر الانطباعي إلى النصِّ الكتابي مرة واحدة ويضرب بفرشاته عشر مرات على لوحة التجربة البشرية. هكذا يفعل الواعظ الانطباعي أيضًا.

لا ريب في أن الوعظ الانطباعي أسهل وأسرع؛ فهو الأكثر منطقية لجدول أعمالك المزدحم. غير أنك بحاجة إلى معرفة أن ذلك يعني في نهاية اليوم أنك تتصرف مع النص الكتابي كما يحلو لك.

دعونا نرى هذا المثال. تخيل أن عليك تحضير عظة لاجتماع «الآباء الشبَّان» في الكنيسة. فقررت أن تتحدث من (١صموئيل٢: ١٢ – ٢١). اصرف وقتًا لتقرأ هذا النص الآن:

«وَكَانَ بَنُو عَالِي بَنِي بَلِيَّعَالَ، لَمْ يَعْرِفُوا الرَّبَّ. وَلاَ حَقَّ الْكَهَنَةِ مِنَ الشَّعْبِ. كُلَّمَا ذَبَحَ رَجُلٌ ذَبِيحَةً يَجِيءُ غُلاَمُ الْكَاهِنِ عِنْدَ طَبْخِ اللَّحْمِ، وَمِنْشَالٌ ذُو ثَلاَثَةِ أَسْنَانٍ بِيَدِهِ. فَيَضْرِبُ فِي الْمِرْحَضَةِ أَوِ الْمِرْجَلِ أَوِ الْمِقْلَى أَوِ الْقِدْرِ –كُلُّ مَا يَصْعَدُ بِهِ الْمِنْشَلُ يَأْخُذُهُ الْكَاهِنُ لِنَفْسِهِ. هَكَذَا كَانُوا يَفْعَلُونَ بِجَمِيعِ إِسْرَائِيلَ الآتِينَ إِلَى هُنَاكَ فِي شِيلُوهَ. كَذَلِكَ قَبْلَ مَا يُحْرِقُونَ الشَّحْمَ يَأْتِي غُلاَمُ الْكَاهِنِ وَيَقُولُ لِلرَّجُلِ الذَّابِحِ: «أَعْطِ لَحْمًا لِيُشْوَى لِلْكَاهِنِ، فَإِنَّهُ لاَ يَأْخُذُ مِنْكَ لَحْمًا مَطْبُوخًا بَلْ نَيْئًا». فَيَقُولُ لَهُ الرَّجُلُ: «لِيُحْرِقُوا أَوَّلًا الشَّحْمَ، ثُمَّ خُذْ

مَا تَشْـــتَهِيهِ نَفْسُـــكَ». فَيَقُولُ لَهُ: «لاَ، بَـــلِ الآنَ تُعْطِي وَإِلَّا فَآخُذُ غَصْبًا». فَكَانَتْ خَطِيَّةُ الْغِلْمَانِ عَظِيمَةً جِدًّا أَمَامَ الرَّبِّ، لأَنَّ النَّاسَ اسْتَهَانُوا بِتَقْدِمَةِ الرَّبِّ. وَكَانَ صَمُوئِيلُ يَخْدِمُ أَمَامَ الرَّبِّ وَهُوَ صَبِيٌّ مُتَمَنْطِقٌ بِأَفُودٍ مِنْ كَتَّانٍ. وَعَمِلَتْ لَهُ أُمُّهُ جُبَّةً صَغِيرَةً وَأَصْعَدَتْهَا لَهُ مِنْ سَـــنَةٍ إِلَى سَنَةٍ عِنْدَ صُعُودِهَا مَعَ رَجُلِهَا لِذَبْحِ الذَّبِيحَةِ السَّنَوِيَّةِ. وَبَارَكَ عَالِي أَلْقَانَةَ وَامْرَأَتَهُ وَقَالَ: «يَجْعَلْ لَكَ الرَّبُّ نَسْـــلاً مِنْ هَذِهِ الْمَرْأَةِ بَدَلَ الْعَارِيَّـــةِ الَّتِي أَعَارَتْ لِلرَّبِّ». وَذَهَبَا إِلَى مَكَانِهِمَا. وَلَمَّا افْتَقَـــدَ الرَّبُّ حَنَّةَ حَبِلَتْ وَوَلَدَتْ ثَلاَثَةَ بَنِيـــنَ وَبِنْتَيْنِ. وَكَبِرَ الصَّبِيُّ صَمُوئِيلُ عِنْدَ الرَّبِّ».

عند قراءتك الأولى للنص، تبرز ثلاثة أشياء:

١- يُعرِّفك النص على مجموعتين من الآباء والأولاد: عالي وأولاده عديمي الفائدة، وحَنة وصغيرها صموئيل، الذي يخدم الله.

٢- يثير اندهاشـــك التباين بينهما. تشبه قصة عالي دليلًا إرشاديًا لسوء التربية، بينما يثمر نموذج حنة عن نتائج أفضل.

٣- ثم تســـتنتج تطبيقَيْن لهذا النص: الأول، أن الآباء الســـيئين يســـمحون لأولادهم بأن يفرطوا في تناول الطعام، بينما الآباء الجيـــدون لا يفعلون ذلك. يا له مـــن أمر مُنفِّر أن يلتهم أولاد عالي الذبائـــح بهذه الطريقة! والثاني، أن الآباء الســـيئين لا

يستفيدون من بيئة الكنيسة لتشجيع أولادهم على التقوى، بينما الآباء الجيدون حاضرون دائمًا ومســـتعدون. كم كان رائعًا أن تأتيَ حَنة بصموئيل إلى الكنيسة كلما فتحت الكنيسة أبوابها!

هكذا، أصبح لديـــك مخطط تمهيدي للعظة، والأهم أنك تعرف أن كلامك سيلقى صدى وآذانًا صاغية لدى الآباء الشبان (الأُسر الحديثة) في كنيســـتك. يمكنك الآن أن تتكلم عـــن الظروف الصحية للأطفال. ولـــن يكون صعبًا عليك أن تُكيِّف مبادئ مشـــابهة تنطبق على صحة حالتهم الروحية أيضًا.

ثـــم تلقي عظتك، وفجأة يتم إطلاق برامـــج جديدة لخدمة الأطفال بســـبب هذه العظة. يا له من شيء عظيم أن يتكلم الناس عن التربية المسيحية.

هذا النوع من الوعظ الانطباعـــي يُنمِّي الكنائس. ولا عجب حقيقة في أننا لا نصرف وقتًا في العمل والاجتهاد في تحضير عظاتنا؛ فنحن لســـنا بحاجة إلى ذلك. يمكننا أن نفعل ذلك بسرعة كبيرة والأمر يفلح. إنه يكاد يكون وعظًا ارتجاليًّا.

ثـــم نفقد مرة أخرى غنى كلمة الله، إذ نفقد الفكرة الرئيســـية للنص. لو قرأنا النص بضع مرات أخرى، لأدركنا أن الاهتمام الأساسي لنص (١صموئيـــل٢: ١٢ – ٢١) ليس هـــو تربية الأطفال على الإطلاق،

بل هو قداســة الله. هذا صحيح، **النص عن الله**، وكيف تتسبب القيادة السيئة لشعب الله في جلب السخرية على الله نفسه. المشكلة في النص هــي أن الله لا يُعبَد على النحو اللائق به. وإن اســتمرينا في التعمُّق داخل السِّفْر ســندرك وجود فكرة الاستبدال في عائلة الله. يأتي النص فــي هذه اللحظة المحددة بصموئيل لأنه هو البديل لأولاد عالي، ليقود هو عبادة الله تمشيًا مع كلمة الله. لا يمكن لله أن ينجزَ عملَهُ لأن كلمته تم تعطيلها. ومع ذلك، وإن بدا الوضع ميئوسًــا منه، فالله سيقيم رجلًا آخر وكاهنًا ليقود الشعب.

هل هذا يعني أننا لا نســتطيع أن نعظ مــن هذا النص عن تربية الأطفــال؟ ليس بالضرورة. لكنه يعني أنه يجــب ألا تغيب عنا الفكرة الرئيسية للنص الكتابي. يجب ألا تطغى التطبيقات الممكنة على الفكرة الرئيسية للنص. ومع أننا يمكننا قول أشياء حقيقية من الكتاب المقدس عــن تربية الأطفال من النص، ينبغي فعل ذلك بطريقة تخضع باحترام لمــا يريد النص أن يؤكــد عليه. وهذا هو الفــرق والتحدي. نقرأ هذه القصص وينتهي بنا الأمر إلى فقدان المضمون الذي يشدد عليه الروح القــدس، حيث نقلل من قدر كلمــة الله إلى ما لا يزيد عن كونه مجرد مبادئ لحياة التقوى. فــي المثال الوراد في صموئيل الأول، انتهى بنا الأمر إلى إغفال المســيح تمامًا بصفته البديل للكهنوت الفاشــل. فقد أهملنا يســوع المسيح لصالح المدرسة الانطباعية. وأصبح لدينا مكانه آباء ملتزمين بمبادئ أخلاقية أكثر من الرسالة المسيحية.

يزدهر هـــذا النوع من الوعظ الانطباعي حيـــن تكون «هموم هذا العالم» (مرقس٤:١٩). العملية هي الأكثر ظهوراً على السطح. وسواء كان ذلك في بيئة مجتمعات الأعمال التي تهتم بالنتائج، أو بيئة الثقافات التي تُقدِّس العمل كدول شـــرق آسيا، أو في مجتمعات نامية (كأولئك الذين يخدمهم فريقي في جنوب آسيا)، نجد أن الوعظ الانطباعي غالبًا مـــا يكون نتيجة وقوع ضغوط براجماتية (نفعية) على المســـئولين عن الوعظ. وأنا أنظر لهم بعين العطف.

من المهم أيضًا ملاحظة أن الوعظ الانطباعي ليس هو **المشـــكلة**. إنه نتيجة طبيعية للتمسُّـــك الأعمى **بالمواءمة الثقافية** وكيف يحتكر هذا التمسك وقتنا. نحتاج إلى تذكر القناعة التي أسرت تشارلز سيمون في دراسته للكتاب حتى يُخرج من الكتاب ما هو موجود به. من السهل أن تترك الطريقة الانطباعية تهيمن على دراســـتك للكتاب وتحضيرك للعظـــات؛ خصوصًا إن كنت بطبيعتك لطيفًـــا (أي أنيقًا أو عصريًّا)، أو تحـــاول أن تكون كذلـــك، فهذه الطريقة يمكـــن أن تصبح كإدمان الكوكايين الذي تتعاطاه في الخفاء. وإن كنتَ قد لَقِيتَ نجاحًا قليلًا مع هذه الطريقة، يمكنك أن تبدأ في الظن بأنك مفسِّـــرٌ للكتاب. لكن شرح الكتاب المقدس شرحًا تفسيريًّا يتطلب طريقة مختلفة للدراسة كما سنرى في الفصول القادمة.

الوعظ المُتَرنِّح (المشوش)

دعونا نترك الدراسة ونفكر في الطريقة التي نستخدم بها الكتاب المقدس في العظات. عبَّرَ الشاعر الإسكتلندي أندرو لانج (Andrew Lang) ذات مرة عن رأيه ساخراً من السياسيين في عصره متهمًا إياهم ببراعة في أبياته بالتلاعب في الإحصائيات.[١٥] ومع تغيير طفيف في اللغة، يمكن لهذه العبارات الساخرة أن تطلَق على العديد من معلمي الكتاب المقدس اليوم: «بعض الوعاظ يستخدم الكتاب المقدس تمامًا كما يستخدم السِّكير عمود الإنارة... فهو يستخدمه ليتكئ عليه أكثر مما يستخدمه ليستنير به».

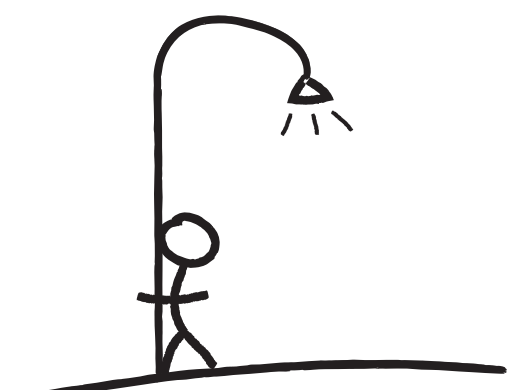

١٥– مصدر قصة أندرو لانج واقتباسه غير مؤكد، بالرغم من كونه اقتباس واسع الانتشار والاستخدام مثل إليزابيث إم نولز، قاموس أوكسفورد للاقتباسات.

The Oxford Dictionary of Quotations, 7th ed. (Oxford: Oxford University Press, 2009), 478:12.

هذا هو الواعظ المترنِّح أو السكران. أفترض أني لست بحاجة إلى أخبارك بأنك لا ينبغي أن تصبح واحدًا منهم. في الحقيقة كان العديد منا كذلك دون أن يعلموا.

دعوني أشرح. في تلك الأيام حين استخدمنا الكتاب المقدس لدعم ما أردنا قوله بدلًا من أن نقول ما قصد الله أن يقوله في الكتاب المقدس، كنا مثل رجلٍ مخمور يستند بجسده المترنح إلى عمود الإنارة، حيث يستعين به للوقوف منتصبًا أكثر من الاستعانة به للاستنارة. أما الوقفة الأفضل للواعظ فهي أن يقف تحت نور النص الكتابي مباشرة. ذلك لأن الكتاب المقدس هو كلام الروح القدس وليس وعظنا (عبرانيين٣:٧؛ يوحنا٦:٦٣).

لعل أوضح الأمثلة على هذه النزعة وأكثرها إضراراً، هو الإنجيل المزيف المدعو **إنجيل الرخاء**. في أثناء رحلاتي المتكررة إلى كينيا، وكما سمعت مراراً وتكراراً عن بقية بلدان أفريقيا، يقف الوعَّاظ في جميع أنحاء جنوبَي القارة الأفريقية ويشيرون إلى الكتاب المقدس، ويُغالون في وعودهم بالصحة والثروة في هذه الحياة، وهي وعودٌ، ببساطة، لم يقطعها الكتاب المقدس. قد يخدم ذلك أهداف الواعظ، غير أنه يفتقد للحق الكتابي.

من واقع عشرات السنين من الخبرة في الخدمة الرعوية، أستطيع أن أتذكر العديد من المرات التي كنت فيها واعظًا مترنحًا. فكنت ألجأ

للكتـــاب المقدس لأدعم به ما كنت أظن أنه يســـتحق أن يقال. فصار ذلك من الأدوات النافعة لي. ســـاعدني الكتـــاب المقدس على إنجاز مـــا كان في فكري. لكن في مرات كثيرة، غابـــت عني حقيقة أنه من المفترض أن أكون **أنا** الأداة، أن أكون أنا الشخص الذي يستخدمه الله مـــن أجل قصده الإلهي. إن واجبي هو أن أنادي بالنور الذي يريد الله أن ينشره في كل الاتجاهات من خلال النصِّ الكتابي.

مـــا حدث لي في الماضـــي يمكن أن أن يحـــدث لأي واحد منا. نســـتخدم الكتاب المقدس بطرق متعددة كما يركن السكران إلى عمود الإنارة. لعـــلَّ لديك آراء عقائدية قوية إلى أبعـــد حد، ولكن قد تصبح هذه الآراء هي الفكرة لكل عظة تلقيها، بغض النظر عن الرســـالة التي يريد النص توصيلها. ولعلَّك تُخرج اســـتنتاجات سياســـية أو اجتماعية أو علاجيـــة بغض النظر عن فكر الروح القدس من النص. في جوهر الأمر، إن نزعتنا إلى الوعظ المترنِّح على حساب الوعظ التفسيري ينبع من شـــيء واحد: إننا نضيف على النـــص الكتابي أهواءنا، وخططنا، ووجهات نظرنا المتمسكين بها بعمق. وعندما نفعل ذلك، يصير الكتاب المقدس مجرد دعامة نسند عليها ما نريد قوله.

دعوني أقدم مثالًا شـــخصيًّا عن مدى السرعة التي يمكن أن يحدث بها هذا. منذ ســـنوات عديدة، كنت أعظ من رســـالة كورنثوس الثانية. وعندمـــا وصلت إلى الأصحاحين الثامن والتاســـع، قـــررت أن أقفز وأتخطاهما إلى الإصحاح العاشـــر ومـــا بعده. وكان غرضي في فعل

هذا بسيطًا، إذ كنت أريد أن أحتفظ بالإصحاحين الثامن والتاسع لوقت لاحق لربطهما بحياة كنيستنا. فهذان الإصحاحان يتعلقان بموضوع المال، أليس كذلك؟ فقلت في نفسي: «سيأتي الشيوخ إليَّ في وقت ما ويطلبون مني أن ألقي عظة عن الوكالة». حينذاك، كانت كنيستنا على ما يرام من الناحية المالية، فكان من المعقول أن أدَّخر هذا النص لوقت نحتاج فيه إلى دَفعة مالية لنحافظ على قدرة الكنيسة على سداد التزاماتها المالية. لذا، تخطَّيْتُ الإصحاحين ٨، ٩؛ وهذا أمر نادر الحدوث بالنسبة لي كواعظ ملتزم بصرامة أن يعظ بالترتيب.

كما هو متوقع، جاء ذلك الوقت. فَرُحتُ أفتح (٢ كورنثوس ٨، ٩) لتحضير عظة عن أهمية العطاء بسخاء. والآن، من المهم أن تعرفوا أنني قبل أن أدخل إلى الدراسة، كانت لدي فكرة واضحة عما سأقوله في عظتي. كنت عازمًا على تركيز كل تعليقاتي على الآيات الثلاث التي تسلط الضوء على المعطي المسرور:

فيما يلي الفكرة:

«هَذَا وَإِنَّ مَنْ يَزْرَعُ بِالشُّحِّ فَبِالشُّحِّ أَيْضًا يَحْصُدُ، وَمَنْ يَزْرَعُ بِالْبَرَكَاتِ فَبِالْبَرَكَاتِ أَيْضًا يَحْصُدُ. كُلُّ وَاحِدٍ كَمَا يَنْوِي بِقَلْبِهِ، لَيْسَ عَنْ حُزْنٍ أَوِ اضْطِرَارٍ. لأَنَّ الْمُعْطِيَ الْمَسْرُورَ يُحِبُّهُ اللهُ. وَاللَّهُ قَادِرٌ أَنْ يَزِيدَكُمْ كُلَّ نِعْمَةٍ، لِكَيْ تَكُونُوا وَلَكُمْ كُلُّ اكْتِفَاءٍ كُلَّ حِينٍ فِي كُلِّ شَيْءٍ، تَزْدَادُونَ فِي كُلِّ عَمَلٍ صَالِحٍ».

كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ: فَرَّقَ. أَعْطَى الْمَسَاكِينَ. بِرُّهُ يَبْقَى إِلَى الأَبَدِ» (٢ كورنثوس٩: ٦ – ٩).

أولًا، سأفتتح النص بالاتجاه القلبي الذي يريد الله لنا أن نتخذه ناحية المال. تقول الآية ٦ أن العطاء بسخاء يعني الحصاد بسخاء. (أعجبني البدء بالاتجاه القلبي لأن ذلك يربط مقدمتي بالتطبيق «أعطوا!»). في النهاية، تقول الآية ٧ إن الله يحب المعطي المسرور. والدافع للعطاء (الله سيعطيك في المقابل) سيكون هو فكرتي التالية. وتقول الآية ٨: «وَاللَّهُ قَادِرٌ أَنْ يَزِيدَكُمْ كُلَّ نِعْمَةٍ». وأخيراً، سأقتبس من سفر المزامير، لأُبَيِّنَ الحافز الإلهي على السخاء في العطاء. إذ أن الآية ٩ تشير إلى أن الله نفسه «يُوَزِّع مجانًا». وسيبدو مُخطَّط العظة على النحو التالي:

١- (٢كورنثوس ٩: ٦ – ٧): «أعطوا الله» (هذا هو الاتجاه القلبي الذي يريده منا).

٢- (٢كورنثوس ٩: ٨): «احصلوا على عطايا جيدة من الله» (هذا يثير لدينا الدافع).

٣- (٢كورنثوس ٩: ٩): «العطاء هو طريقة لتَشَبُّهِنا بالله» (هكذا يقول لنا العهد القديم).

مع أني لم أصغِ طويلًا للنص، كنت أعرف أن لديَّ عظة سيكون من السهل الاستماع إليها. وكنت على وشك إلقاء تلك العظة العملية المثيرة للمشاعر. وكنت أعلم أن شعب الكنيسة بحاجة إليها، وأن الكتاب المقدس يدعم فكرتي.

لكن شيئًا مثيراً قد حدث. قبل يوم الأحد، وقبل أن أشغِّلَ محرك الوعظ، بدأتُ أدرسُ خلفية هذه الأصحاحات. وكم صدمني ما اكتشفته، وزعزع أساسات كل ما خططت أن أقوله! من (١كورنثوس١٦: ١ – ٤) و(أعمال الرسل١١: ٢٧ – ٣٠)، تعلَّمت أن الآيات التي كنت قد اخترتها لها علاقة بمجاعة حدثت واحتياج شديد عانت منه كنائس معيَّنة. ولم يكن تفسير النص البهيج الذي استخدمته هو العطاء بانتظام لصالح ميزانية الكنيسة المحلية، بل كان عن جمع إعانة مالية لإغاثة بعض الكنائس المملوءة بالمؤمنين اليهود في أماكن مختلفة في العالم، لتُخفِّفَ عنهم الآثار السلبية للمجاعة.

لو كان ذلك ليس سيئًا بما يكفي، فقد وجدت شيئًا آخر؛ حيث عرفتُ من (٢كورنثوس١١: ٥، ١٢: ١١)، أن الجدال الأساسي في الرسالة كان حول ما يبدو أنه خدمة بولس الضعيفة بالمقارنة مع الخدمة الفائقة للرسل، الذين كانوا يمتلكون ذلك النوع من القوة الذي كان موضع احترام جماعة المؤمنين في كورنثوس. لم يكن بولس فصيحًا في الكلام (٦:١١)، وجاءهم باتضاع (٧:١١)، وكان دائمًا في

احتياج (٩:١١)، ولم يكن لديه موارد مالية (١٢: ١٤، ١٥). كان هذا هو سياق الأصحاحات المخصصة للحديث عن التقدمة المالية. ومن ثَم اتضح لي الأمر! كانت هذه التقدمة بمثابة امتحان! فإن أعطى أهل كورنثوس بسخاء، فهذا يبرهن أنهم اتَّحدوا مع "ضَعْف" أولئك الذين كانوا في احتياج، وكانوا مستعدين أن يَسُدُّوا احتياجات أولئك الضعفاء. ولكن، إن أعطوا ببُخل لصندوق الإغاثة من المجاعة، فهذا يبرهن أنهم لم ينحازوا سوى إلى فئة الأغنياء. وأدركت فجأة أني كنت في خطر حقيقي بإساءة فهم رسالة كورنثوس الثانية كلها!

ثم انهار كل شيء. عندما نظرت إلى المزمور المقتبَس في (٢كورنثوس٩:٩)، الذي كنت أظنه يُعلمنا أن العطاء بسخاء يعني أننا نتشبَّه بالله، وجدت بدلًا من ذلك، أنه يبرهن أننا مثل "الرجل البار المتَّقي الرب". لم تكن فكرة بولس أن أهل كورنثوس يجب أن يعطوا بسخاء لكي يتشبهوا بالله، بل أن العطاء بسخاء هو الصفة المعتادة التي تميِّز مَن يتبعون الله.

تيقَّنت عند هذه النقطة أني في مشكلة. مع أني صممت مخططًا بارعًا من الكتاب المقدس يحقق أهدافي بالحديث عن عجز ميزانية الكنيسة، لم أكن أفعل شيئًا سوى أني أستند على الكتاب المقدس بالطريقة التي يستخدمها السكران للاتكاء على عمود الإنارة، وليس للاستنارة به.

كانت الأسئلة المتبقية التي ينبغي أن أجيب عنها هي: «من الذي يجب أن يكون الملك؟ أنا أم النص الكتابي؟ هل سأملك على الكلمة هذا الأسبوع أم ستملك عليَّ؟ هل أعتمد على الكتاب المقدس لتحقيق أغراضي وخططي، أم أقف تحته مستنيراً بنور الروح القدس، ومعطيًا المجال لهذا النور بأن يَعرِفَ طريقه إلى السامعين من شعب كنيستي؟».

في التحليل النهائي، نجحَت معي القناعة التي جعلت تشارلز سيمون يمارس بنضج ذلك الانضباط. "إن غيرتي الشديدة بشأن هذا الموضوع، تجعلني لا أتكلم بأكثر ولا أقل مما أؤمن أنه فكر الروح القدس في النص الذي أقوم بتفسيره".[١٦]

من خبرتي الشخصية، يمكنني قول إن صراعاتي مع الوعظ المترنح مرتبطة دومًا بالتمسُّك الأعمى **بالمواءمة الثقافية للمستمعين**. وما تعلمته هو أن احتياجات شعب كنيستي، بحسب فهمي لها ثقافيًا، يجب ألا تكون هي القوة المحرِّكة لما أقوله في العظة. لسنا أحراراً أن نعمل ما نريد بالكتاب المقدس. فالسيادة له، ويجب أن يربح دومًا.

يكمنُ دورُنا كوعاظ ومعلمين للكتاب المقدس في الوقوف تحت نور الكلمات التي وضعها الروح القدس منذ زمن طويل. إن مهمتنا هي أن نقول اليوم ما قاله الله فيما مضى لا أكثر من ذلك. فإن عَمِلْنا هذا، سيظل يتكلم.

16. Handley Carr Glyn Moule, Charles Simeon (London: Methuen & Co., 1892), 97.

الوعظ "الموحى به"

نظرنا إلى نتيجتين سلبيتين يؤدي إليهما التمسك الأعمى بالمواءمة الثقافية للمستمعين، مما يضر بالوعظ التفسيري الكتابي. أولًا، اكتشفنا تأثير هذه الطريقة على الواعظ في دراسته. يمكن لهذه الطريقة في التحضير أن تؤدي إلى **الوعظ الانطباعي**. ثانيًا، رأينا كيف يمكن لهذه المواءمة الثقافية العمياء التأثير على استخدام الواعظ للكتاب المقدس. فالضغوطات الأسبوعية على الواعظ ليكون مواكبًا لثقافة الجمهور، يمكن أن تؤدي إلى **الوعظ المترنِّح**.

الآن أريد أن آخذ الواعظ بعيدًا عن دراسته، وبعيدًا عن كنيسته، وأتكلم عن كيف يقرأ الكتاب المقدس في الخفاء. وهنا أيضًا يمكن لخطط القراءة المعاصرة التي يتبناها الناس في "خُلوتهم الشخصية" أن تُضعف من المناداة العلنية بكلمة الله. وفي الحقيقة، إن اقترنتْ خُطط القراءة الشخصية هذه مع التمسُّك الأعمى بالمواءمة الثقافية، تكون المحصِّلة هي ما أُسميه **"الوعظ الموحَى به"**.

دعوني أشرح: الكتاب المقدس بحسب مصدر تأليفه الإلهي، هو كلمة الله الموحَى بها ذات السلطان، وسيظل كذلك. لكن الفكرة التي أريد توصيلها أنه من المحزن أن يتزايد انجذاب الوعاظ إلى قراءتهم الذاتية للنص الكتابي باعتبارها موحَى بها. وعلى نحو متزايد، يتعلم

معلمو الكتاب المقـــدس أن أيًّا كان ما يُحرِّك روحهم في أثناء قراءتهم الشـــخصية للكتـــاب، فلا بد أن هذا ما يريـــد **روح الله** أن يعظ به في العلن.

أحـــد الأمثلة على هـــذا النوع من خُطط القراءة لـــه تاريخ طويل. ويعُرِف باسم «القراءة الإلهية» Lectio (Divina). كان الغرض من هذه الممارسة لتفســـير الكتاب المقدس، التي تعود إلى العصر البنيديكتي، تعزيز الشـــركة مع الله، وبدرجة أقل، الإلمام بالكتاب المقدس. وكانت تفضـــل رؤية النص الكتابي باعتبـــاره «الكلمة الحية» وليس كلمة الله المكتوبة بغرض الدراســـة. وتشمل الأشـــكال التقليدية لهذه الممارسة أربع خُطـــوات لقراءة الكتاب المقدس بطريقة خاصة: القراءة، والتأمل، والصلاة، والتفكير بإمعان؛ حيث تُسَـــكِّنُ قلبَكَ بقراءةٍ بسيطةٍ للنص، ثم تتأمـــل، ربما في كلمة واحدة أو عِبـــارة من النص. وهكذا تتجنب عن قصد مـــا يمكن أن يُعتبر طريقة «تحليليـــة». الهدف هنا، في جوهر الأمر، هو انتظار اســـتنارة الروح القدس حتى تصل إلى المعنى. ومن ثَم تنتظر يســـوع أن يعطيك فهمًا للنـــص. وبمجرد أن يُعْطَيَك الكلمة، تبدأ تصلي. وفـــي النهاية، ما الصلاة إلا حوار مع الله. يتكلم الله من خلال كلمته، ويتكلم الشخص من خلال الصلاة. وفي النهاية، تصبح هذه الصلاة تأملية، وتعطينا القدرة على اســـتيعاب الحقائق اللاهوتية الأعمق.

يبدو الأمر رائعًا ويتميــز بالتقوى. في الواقع، يبدو أنه يمنح المرء ضمانة كتابية قوية: «فَأَعْلَنَهُ اللهُ لَنَا نَحْنُ بِرُوحِهِ. لأَنَّ الرُّوحَ يَفْحَصُ كُلَّ شَيْءٍ حَتَّى أَعْمَاقَ اللهِ» (١كورنثوس٢: ١٠). دعونا للحظة نضع جانبًا ما كان بولس يقوله بالفعل في هذه الآية. تُدافع القراءة المقدسة (Lectio Divina) عن الطريقة الروحية على حســاب طريقة الدراسة النظامية. إنها تستبدل التحقيق بالحدس والبديهة، وتُفضِّل العاطفة والحالة النفسية على حساب الاســتقصاء المنهجي العقلاني. هذه الطريقة تساوي بين روحِكَ والروح القدس.

هذه الطريقة يعشــقها التمسُّــك الأعمــى بمواعمة العظــة لثقافة المستمعين! إن أكثر شــيء يريده الناس اليوم هو «كلمة جديدة» من الله، يريدون شيئًا من روحِهِ يُنعش حياتهم الروحية الفقيرة ويُغذِّيها.

مع أن القراءة المقدســة (Lectio Divina) هي شكل تاريخي روماني كاثوليكي للتفســير، فإنها قد شهدت انتعاشًا جديدًا في السنوات الأخيرة خاصة بين البروتســتانت الإنجيليين. وحتى حين لا تمارَس بالاســم، فهي مشــابهة على نحو لافت للنظر لطريقــة تحضير العظات التي تعلمها العديد من الوعاظ الجدد. فقد قيل لهم أن يقرأوا الكتاب المقدس بطريقة تعبُّدية، وفي ســكون، انتظاراً للروح القدس أن يتكلم؛ إذ يمكنك أن تكون متيقنًا من أن ما ســيضعه الله في قلبك من خلال النص في سكون تلك اللحظة، سيستخدمه أيضًا في حياة الآخرين. إذن، «عِظ به يا أخي! فلا بد أنه موحًى به».

لنأخذ مثـــالًا من واحدة من الآيات الرائعـــة المطبوعة في النتيجة السنوية التي تُعلَّق على الحائط (فيلبي٤:١٣): «أَسْتَطِيعُ كُلَّ شَيْءٍ فِي الْمَسِيحِ الَّذِي يُقَوِّينِي».

كيف ســـنفهم هذا النص؟ ســـنقرأه في البداية بشكل شخصي، كما لو كان بولس قد كتبه لنا مباشـــرة. ثم نقرأ عبارة «كل شـــيء» كأنها «أي شيء». فنظن أن هذا النص يشير بالتأكيد إلى أي شيء. وحين يواجهنـــا أي نوع من العواقب، يعطينـــا الله القوة للتغلب عليه. هل أنا بحاجة إلى تلك الترقية في العمل؟ الله ســـيعطيني القوة. هل أنا محتاج إلى تلك الرمية الثلاثية قبل انتهاء مباراة كرة السلة بعشرين ثانية للفوز في المباراة؟ الله ســـيعطيني القوة. يا له من وَحْي! إنه مثالي لأي من تلـــك اللحظات التي نحتاج فيها إلى النجاح. ولأننا فهمنا النص تعبديًا، فالأمر مُغْرٍ جدًّا أن نعظ به بهذه الطريقة.

تظهر المشكلة حين نتعمق قليلًا، فنجد أن بولس لا يتكلم عن «أي شـــيء». ولو قرأنا بضع آيات فقط بعد ذلك النص وقبله، لأدركنا أن هذه الآية جزء من حديث بولس عن الألم في الســـجن. فهو يتكلم عن النجـــاة والبقاء حيًّا. إنه لا يتحدث عن الترقيـــة ولا عن الرميات التي ستحســـم له المباراة، ولكن عن احتمال المشـــقات حتى يتقدم الإنجيل إلى الأمام وينتشـــر (قارن مع فيلبي١:١٢). ولا يحتاج الأمر إلى وقت طويل حتى تتحطم أمام أعيننا قراءتنا التعبدية التي نكاد نجعلها موحى بها. فلم يحتج الأمر إلا لقراءة آيتين أخرتين أو ثلاث.

يُعَــد هذا النوع مــن الوعظ «الموحى به» لعبة خطــرة. إنه ذاتي بالكامــل. وحين نتوقف عن العمل الشــاق لفهم الكلمات التي أعطاها الــروح القدس لنا، ولا نعمل ســوى بالفكــر «المُرَوْحَن»، نصير نحن الســلطة النهائية في تقرير معنى النص. حينئذٍ نبدأ نفرض «حقائق» و«نصائح» ليس لها ســند كتابي وغير قابلــة لامتحانها من الكتاب المقدس. قد نفعل ذلك لأغراض حســنة، مثــل حرصنا على الصحة الأخلاقية لشعبنا أو الرغبة الصادقة لتجديد العالم الذي نعيش فيه. ومع ذلك، نحن نعمل خارج العقيدة السليمة. ونخلط بين «هكذا قال الرب»، و.. «هكذا أقول أنا». ونطلب من شعب كنيستنا أن يؤمنوا بنا بدلًا من أن يؤمنوا بكلمة الله.

الآن، من المحتمل أن لا نتمسك أنت وأنا بهذه النظرية فيما يتعلق بالكتاب المقدس. ومع ذلك، دون وعي، كثيراً ما نتصرف وكأننا نؤمن بها.

كيف يحــدث هذا الأمر؟ يلجأ الكثير من الوعاظ، وخاصة الوعاظ الشــبان، للنص الكتابي لتهذيب النفس أو النمو الروحي الشــخصي. هذه الممارسة ليست في جوهرها ممارسة سيئة، كما أن الوعظ التعبدي ليس شيئًا سيئًا في جوهره. فصورة المسيح الموجودة في النص الكتابي، يجب أن تَحكُمُ فينا روحيًّا، ويجب أن نتشبه بها. لكن تكمن المشكلة في أننا نميل بسهولة إلى أن نضِل بعيدًا عن طريقة تأثير الروح القدس فينا

من خلال النص، لنقرر نحــن الطريقة التي لا بد أن يعمل بها الروح القدس وسط شعب كنيســتنا. وتجعل هذه الطريقة الوعظ مشابهًا جدًّا للوعظ الانطباعي، ولكنه مُغلَّفٌ بالتقوى بدلًا من الناحية العملية.

نرى المثال الآخر من هذا النوع الذي يبدو وعظًا يتميز بالتقوى في جنوب أمريكا الشمالية وفي أمريكا الجنوبية، وبخاصة في بعض الدوائر الكاريزماتيــة في أمريكا اللاتينية. مهدت الرؤى الروحانية الطريق لنوع من الصوفية يحتاج إلى أكثر من الأسفار المقدسة القانونية حتى يظل ذا صلة.[١٧] لذلك، فعلى الوعاظ الأتقياء «الممتلئين من الروح القدس»، أن يقدمــوا حينئذ «إعلانًا جديدًا» فــي صورة نصائح ومبادئ عقائدية واجتماعية. ولا يفصل بيــن «النصيحة الروحية» من الواعظ المتعبد، وتقديم إعلان جديد إلا خطوة واحدة صغيرة. وقد أصبح ذلك في العديد من هــذه الدوائر هو العلامة المميِّزة لمن هــو مدعو للوعظ. وصار كل مــن الوعظ الأقل روحانية والنصيحــة العقلانية جدًا المبنية على القراءة الشخصية المُروحنة، وكذلك هذا الشكل من أشكال الوعظ الذي يقــدم إعلانًا جديدًّا، صار كل منها يقف متحديًا كفاية الكتاب المقدس ومتخفيًا في صورة التقوى المسيحية.

١٧- للمزيد حول هذا باللغة الإنجليزية، استمع إلى حديث ميجيل نونييز في مؤتمر الرعاة ٢٠١٥ (انعقد يوم الأربعاء في الرابع من مارس ٢٠١٥ في كنيسة جريس كميونيتي – صن فالي – كاليفورنيا) يمكنك زيارة:
http://www.shepherdsconference.org/media/details/?mediaID=10912

لتجنُّبِ التشويش والارتباك، أنا لا أقول إن الروح القدس ليس له دور في الوعظ التفسيري لأن ذلك خطأ فادح. فبينما حقًّا يهتدي الناس إلى الإيمان وينضجون من خلال الوعظ التفسيري، يجب أن تقترن كلمة الإنجيل بعمل الروح القدس كي يحدث التبكيت على الخطية، والتجديد، والتوبة، والإيمان، والمثابرة المستمرة طوال الحياة. بعبارة أخرى: «إِذًا لَيْسَ الْغَارِسُ شَيْئًا وَلاَ السَّاقِي، بَلِ اللهُ الَّذِي يُنْمِي» (١كورنثوس٣:٧).

كما اتضح، هذا التعاون «الحديث» بين القراءة التأملية للكتاب المقدس، والوعظ، وخصوصًا اللجوء إلى مواءمة العظة لثقافة المستمعين بُغية الحصول على المعنى الروحي للنص، ليس أمراً جديدًا كما قد نظن. ظهر نوع منه على الساحة وسط شخصيات لاهوتية مصلحة بارزة مثل كارل بارث (Karl Barth) وحركة الأرثوذكسية الحديثة في الجزء الأول من القرن العشرين. حيث «أثبت» النقد الأعلى في ألمانيا أن نص الكتاب المقدس قد تعرَّض للتحريف، أو هكذا كان يُظن. ولأن النص الكتابي تعرَّضَ للتحريف، فإن قُرَّاء الكتاب المقدس لا يمكنهم أن يعرفوا يقينًا قصد الكاتب الأصلي. كان بارث وحركة الأرثوذكسية الحديثة ينظران باحترام للكتاب المقدس، غير أنهما قدما تنازلات لبعض الأفكار من النقد الأعلى تختص بالوحي اللفظي. وهكذا، لم تعُد فكرة التجاوب مع الكتاب المقدس بعبارة «هذه كلمة الرب» فكرة يُمكن الدفاع عنها في كنيسة الأرثوذكسية الحديثة، بل بالحرى، يمكن للقارئ

أن يقول شـــيئًا من قبيل: «استمع لكلمة الرب». وصار الافتراض أنه لم يبقى لنا ســـوى الروح القدس، ولهذا يجدر بنا أن نستمع لشخص ما قد سَمِعَ منه.

لم يمر ســـوى جيل واحد حتى رأينا البعض مـــن الإنجيليين ينتقل بالفعل إلى أبعد من بـــارث في الدفاع عن الوعظ الموحى به أو الذي يقـــوده الروح القـــدس. لكن هل نحن جديرون بالثقة؟ بلا شـــك الروح القدس جدير بالثقة وقادر – على نحو معجزي – أن يغرس قصده فينا بطريقة بديهية. لكن هل تعفينا هذه الاحتمالية من العمل الجاد المتعلق بالتفســـير؟ لماذا كلف الله نفسه وأوحى بالكتاب المقدس من الأساس؟ أليس مـــن الممكن أن يعمل الروح القدس مـــن خلال كل من البحث والتأمل؟ بممارســـتنا لطريقة التفسير الذاتية هذه على أساس أنها وعظ «موحـــى به»، ألا نخاطر بتجاهُل ما قصده الله في كلمته لننحاز إلى الوعظ بقصدنا نحن؟ ألســـنا بهذا نتشكل بروح هذا العصر (الذي نحن بالضرورة جزء منه) بدلًا من أن نتشكل بحسب عمق كلمة الله؟

ترتيب الأفكار قبل المضي قُدمًا

إن التمســـك الأعمى بالمواءمـــة الثقافية، قضية واقعية بالنســـبة للوعاظ. فهذا التمسُّـــك الأعمى يغوينا للسعى دون تمييز أو تقييد نحو أن نكون متصلين بالثقافة، وهذه المســـاعي ينتج عنها أكثر تفســـيرات للنص الكتابي ســـطحية. نظرنا في هذا الفصل إلى هذه المشـــكلة من

ثلاث زوايا. أولًا، استكشـــفنا ما يحدث في دراســـة الواعظ حين يكون الســـياق الثقافي هو الذي يقود العظة، بـــدلًا من أن يخبر الواعظ بما يلزم أن يعرفه عن الجمهـــور. ينتهي بنا الأمر إلى ترك واقعية النص الكتابي واستخدام الوعظ **الانطباعي** على أحسن تقدير. ثانيًا، التمسك الأعمى بمواءمة العظة لثقافة الجمهور، كثيراً ما يتسبب في أن نخطىء الهدف فلا نســـتخدم الكتاب المقدس بالطريقة الصحيحة. يعاني العديد منا من إدمانَ الناحية العملية وفكرة أننا نســـتطيع أن نحدّد مســـبقًا ما يحتاج شعب كنيستنا أن يســـمعوه. وحين نفعل ذلك، نشرب من كأس **الوعظ المترنِّح**. ثالثًا، يزداد ارتباط التمسك الأعمى، بالممارسة التعبدية الخاصـــة بالواعظ. إذ يرغب الوعاظ في شـــيء «جديد» و «روحي». مِن ثَم ننقل مشاعرنا الروحانية أو «الجديدة» وكأنها رسالة الله. ونتيجة لذلك يحل **الوعظ «الموحى به»** محل الوعظ التفسيري.

يحق لنا أن نسأل: «ألا توجد طريقة بسيطة توضح إلى أين سينتهي ميلنا الفطري الخاطئ نحو مواءمة الوعظ لسياق المستمعين وثقافتهم؟» أعتقد أنه توجد طريقة.

يُظهر الجانب الأيمن من هذه الصورة التوضيحية مسؤولية الواعظ تجاه محتوى كلمة الله: **أن يفهمها فهمًا سليمًا**. هذا جزء ضروري من عملنـــا. نريد جميعًا أن نكون أمنـــاء. ويعطينا الكتاب المقدس كلمات الإلـــه الحي. أما الجانب الأيســـر من الصورة فيوجِّهنا إلى مســـؤولية أخرى: **توصيل الكلمة للمستمعين**. وهذا الجزء ضروري أيضًا. مَن منا لا يريد أن يكون أمينًا؟ يقف الواعظ بين هاتين المهمتين كل أســـبوع. إنهما يضغطان عليـــه، وكل واحدة تصارع للفوز بوقته وانتباهه. وفي أغلب الأحيان، يخشى الواعظ من أن الالتزام الكامل بإحداهما لا يمكن أن يتحقق دون التخلي عن الأخرى.

نتيجـــة لذلك، يبدأ الواعظ في الحديث مع نفســـه، وتبدو المحادثة على النحو التالي: «إن ذهبتُ في هذا الاتجاه، وصرفتُ وقت تحضير العظة في **فهم الكلمة فهمًا صحيحًا**، أخشـــى أن ينتهي بي الأمر أن أكـــون مفكِّراً أكثر من اللازم، وعقلانيًّا أكثـــر من اللازم، فأفقد التأثير الحياتـــي **الذي يحققه توصيل الكلمة للمســـتمعين**. في جوهر الأمر، لا يمكنُنـــي تحمُّل أن أُلقب بواعـــظ الكلمة، إن كان ذلك يعني أن أفقد هُويتي كواعظ ممتلئ بالروح القدس. أليس عليَّ مســـئولية أن أخاطب القلب، وليس فقط العقل؟ إن رســـائلي بحاجة إلى كسب المصداقية في

الشارع. استكفيت من الوعاظ الذين لا يفكرون إلا في الاهتداء الروحي. مـــا أعنيه أن المعتقد الســـليم "orthodoxy" أمر مهـــم، ولكن دون أن تقود المواءمةُ لســـياق المستمعين وثقافتهم عملي، لن أصِلَ مطلقًا إلى السلوك الســـليم "orthopraxis". أعلم أني أعظ من نصٍّ كتابيٍّ، ولكن أخيراً، أنا هنا لأُحدِث تأثيراً اليوم».

كلمـــا برز هذا الجدال في قلب وعقـــل المدعوِّين للوعظ، أي ذلك الإحســـاس بأن الفهم الصحيح للكلمة وتوصيـــل الكلمة للجمهور هما شـــريكان يســـتحيل اجتماعهما، يمكنك التأكد من أن التمسك الأعمى بالمواءمة الثقافية يتربص بك في مكان قريب ليجعل الوعظ الانطباعي، والمترنح، و"الموحى به" هو سيد الموقف.

بالطبـــع، لا يُعد الالتزامين المتمثلين فـــي: الفهم الصحيح للكلمة، وتوصيل الكلمة للناس، شـــريكين مستحيلين. وجد تشارلز سيمون وكل الوعاظ المفسرين الأمناء الذين أعرفهم طريقة للتمسك بكليهما. ورجائي أن تنجـــح الفصول الثلاثـــة التالية في أن تقدم لـــك طريقة لتحضير العظات تُمكِّنك من الانضمام إليهم في عمل الوعظ التفســـيري الكتابي الأمين والمثمر.

٢

التفسير (Exegesis)

ختمنا الفصل الأول بتوضيح إمكانية فهم النص فهمًا سليمًا، وتوصيل هذا النص للناس في الوقت نفسه. ليس علينا أن نختار الواحدة ونترك الأخرى؛ إذ يمكن تحقيق كليهما على نحو ممتاز.

لكن كيف؟ كيف نُحضِّر عظات أمينة للنص ونافعة لليوم؟ وكيف نفعل ذلك مع تجنب ميلنا الفطري إلى التمسك الأعمى بالمواءمة الثقافية؟

توجد طريقة يبدو أن المفسرين الأكفاء يتبعونها. تعرض الفصول الثلاثة التالية عملية من ثلاثة أجزاء، هي طريقة تفكير للعمل، تتبع هذا المسار: (١) التفسير؛ (٢) التفكير في الجانب اللاهوتي للنص؛ (٣) التطبيقات الخاصة بالوقت الحالي.

إعطاء الأولوية للأكثر أهمية

يجب أن يبدأ كل وعظ بالتفسير. بعبارة أخرى، يجب تنحية المواءمة الثقافية، والتأمل اللاهوتي، وأمور الحاضر، جانبًا، حيث يجب أن نكون ملتزمين بعملية التحضير التي تعطي **الأولوية للأكثر أهمية**. أقصد بذلك أن يبدأ الواعظ الأمين عملية تحضير عظته بالانتباه إلى الجمهور

الأصلي الذي كان يستمع للنص الكتابي، وأهداف النص بالنسبة لهؤلاء القــراء الأوائل. ويعطي هذا الواعظ لهؤلاء القراء الأوائل اهتمامه الأول بثلاث طرق مختلفة. فهو بطريقة أو بأخرى يقوم بالتالي:

١- يعطي للســياق الكتابي (وليس ســياقه الخاص) التحكم في معنى النص.
٢- يصغي بانتباه حتى يعلم كيف يتوافق النص مع الرسالة العامة للسفر.
٣- يلاحظ بِنية النص والمضمون الذي يُشدد عليه.

هل لاحظتَ كيف لا يتعلق شــيء من القائمة الســابقة بالمواءمة الثقافية؟ إن المواءمة الثقافية مهمة، كما سنرى في الفصل الرابع، لكن مفسري الكتاب المقدس الأكفاء يدربون أنفسهم على إرجاء هذه الخطوة إلى وقت لاحق من عملية تحضير العظة.

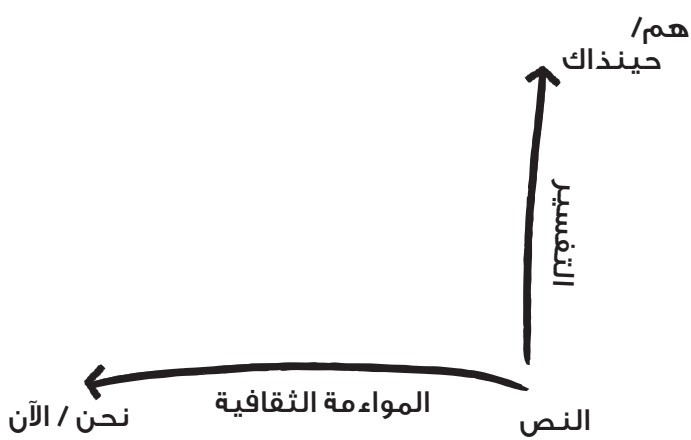

تعد المواءمة الثقافية شـــريكًا جيدًا في العملية، لكنها قائد ســـيء؛ فإن وضعتها قبل قواعد التفســـير في خطوات تحضير العظة، ستظهر المشـــكلات بسرعة. المشكلة هي أن الكثير جدًّا منا يؤجل التفسير إلى نهاية عملية إعداد العظة، بينما نركز اهتمامنا على الثقافة وعلى قدرتنا على ربط عظتنا بها.

بالنســـبة للعديد منا، ســـيكون التحدي الأكبر هو إعادة توجيه ما يســـتحق أن يكون أولًا. إن الخُطوة الأولى نحو الوعظ التفســـيري هي التعامل مع المواءمة الثقافية كشـــريك تحتضنه وتقوده. والأمر ببساطة لن ينجح إذا حدث عكس ذلك. لا زلت أتذكر أين كنت جالسًـــا عندما خطر على بالي إعادة توجيه طريقة التفكير هذه.

١- يوم بدأت أفهم

كنت في التاسعة والعشرين حين عرَّفَني ستيف بيكلي، راعي كنيسة وصديق لي، على ديك لـــوكاس. لوكاس الآن متقاعد من عمله كراعٍ لكنيسة سانت هيلين بمدينة بيشوبس جيت بلندن. وكان بيكلي قد رتب للوكاس أن يقضيَ يومًا معنا كفريق رعاة بكنيســـة كوليدج تحت رئاسة القس كِنت هيوز. وكان هذا هو اليوم الذي بدأت أدرك فيه أنني لم أكن في الحقيقة أفهم ما كنت أعمله.

وفي الحال، استخدم الله لوكاس ليتحدى طريقتنا المعتادة في تحضير العظات. وفي غضون ساعتين قصيرتين، وضَعَنا داخل عالم نص كتابي مألوف جدًّا: (١كورنثوس١٣). ولما انتهى من تدريبنا، وَجَدَت عملية تحضيرنا للعظات اتجاهًا جديدًا. فقد وضع أقدمنا على طريق أفضل، طريق لا يزال يرشدني إلى هذا اليوم.

أولًا، طلب لوكاس منا أن **نعطي الأولوية للأكثر أهمية**. وكان هذا صعب في تنفيذه أكثر مما كنت أتصور. كنت دومًا أسمع أن الإصحاح ١٣من رسالة كورنثوس الأولى يُشار إليه «بإصحاح المحبة». لم أكن أتعرض لهذا الأصحاح إلا في مراسم الزفاف. وفي مناسبات مثل هذه، يقرأ الواعظ النص بغرض المواءمة الثقافية، ويحكمه ذلك الحدث السعيد الذي كنا نحتفل به. من المعتاد أن يحكم حفلات الزفاف موضوعات مثل التشجيع، والاحتفال، والعظات التي سمعتها حول هذا النص كانت مفعمة هكذا بهذه المشاعر. بعبارة أخرى، كان الجمهور المستمع للواعظ هو سيد الموقف. ولا عزاء للجمهور الذي كُتبت له الرسالة في الأصل.

ثانيًا، قادنا لوكاس إلى فترة من الملاحظة. وطلب منا أن نُرجئ للحظة الحكم على معنى النص أو كيف يمكن تطبيقه اليوم، وبدلًا من ذلك طلب أن نفكِّر في الأصحاح من خلال **سياقه الأدبي المباشر**. ولما فعلنا ذلك، رأينا أن (١كورنثوس١٣) يتوسط إصحاحين يتكلمان عن المواهب الروحية، وعلى نحو خاص، العلاقة بين المواهب والنضج الروحي (١٢: ١، ٤، ٩، ٢٨، ٣٠، ٣١؛ ١٤: ١ . ٣٧).

ثالثًـــا، طلب منا لوكاس أن نبحث عـــن المصطلحات الدالَّة على المواهب والنضج الروحي في الجزء الأسبق من الرسالة. كان يريدنا أن **نصغي بانتباه** حتى نعرف كيف يتوافق هذا النص مع مجمل رسالة هذا السفر. وقادنا هذا إلى (١: ٤ – ٧)، حيث يدعو بولس أهل كورنثوس «بالجماعـــة الموهوبة». وفي الحقيقة، لم تكن تنقصهم أية موهبة على الإطلاق. لكن فـــي (٣: ١) يُفجِّر بولس مفاجأة من العيار الثقيل في وجه هـــذه الجماعة الموهوبة إلى أبعد حـــد؛ إذ يقول عنهم إنهم غير ناضجين روحيًّا، بل ينعتهم بالأطفال روحيًّا (ع ١، ٢).

كانت هذه أول مرة يخطر ببالنا أن أهل كورنثوس قد خلطوا العلاقة بيـــن المواهب، والنضج الروحي. فقـــد بدأوا بالظن أن بعض المواهب «الألسنة» – في هذه الحال – أعطتهم تزكية من جهة النضج الروحي. ســـرعان ما أخذت الأفكار تتســـابق في أذهاننا.. ما الذي كان بولس يقولـــه في الحقيقة عن المحبة في أصحاح ١٣؟ هل كان المقصود أن يُوَبِّخَهُم على نقص محبتهم؟ هل كان القصد الجوهري للروح القدس من «إصحاح المحبة» أن يُقوِّم ويُصحح بدلًا من أن يُشـــجِّع (تحت ستار الكلام العاطفي)؟

رابعًـــا، أوضح لنا لوكاس كيـــف أن قرينة الإصحاح بكامله مقترنة بمفردات الإصحاح ١٣. فكِّر في أن «المحبة» في الإصحاح ١٣ «لا تَتَفَاخَرُ». هل تظهر هذه اللغة قبل ذلك في الرســـالة؟ نعم إنها تظهر،

ولم يكن استخدام بولس لها فيما سبق تكمليليًا: «أَفَأَنْتُمْ مُنْتَفِخُونَ» (٢:٥).

ثم توقف لوكاس وسمح لنا أن نستوعب كل هذا. أدركنا أن هذا الإصحاح قد سقط على رأس جماعة مؤمني كورنثوس كالصاعقة. كان بولس يتكلم عن المحبة بالتحديد لأنها كانت الشيء الأساسي الذي يفتقر إليه أهل كورنثوس! ربما كانوا جماعة موهوبة؛ لكنهم كانوا لا يزالون أطفالاً. أراد بولس لهم أن ينضجوا، ويكونوا مثله، «رجل» مميز بالمحبة، وهذا هو معنى النضج بالنسبة له.

وصلنا إلى كورنثوس مع المستمعين الأوائل، وما يدعو للسخرية هو أننا وجدنا أنفسنا جاهزين لأن نعظ على نحو أفضل، عظةً ملائمة وذات صلة بشعب كنيستنا في شيكاغو.

أما بالنسبة لي، بدأت أفهم في التَوّ واللحظة. وأستطيعُ الآن أن أرى العناصر اللازمة لأي واعظ مُفَسِّر. استخدم الله بقوة ذلك اليوم ليعيد ترتيب طريقة إعدادي للعظات. وخرجنا جميعنا من هذه الخبرة أشخاصًا مختلفين، بشهية متجددة لكلمة الله والتزام اختبرناه لأول مرة نحو عمل كل ما يلزم لنصبح وعاظ مُفسِّرون للنصِ المقدس.

عندما يصبح القراء الأصليون أو الأوائل اهتمامك الأول، سترى الأشياء برؤية مختلفة. دعوني أوضح هذا عن طريق المِنظار «التليسكوب». يسمح لنا المنظار برؤية ما هو بعيد في السماء. وأعطى

جاليليو المنظار شـــهرة؛ إذ استخدمه ليرى به ما يبدو كفوهات البراكين على ســـطح القمر علاوة على الملاييـــن أو ربما المليارات من النجوم المُعَلَّقَة في مجَرَّة درب اللبانة. والفكرة وراء هذا الاختراع بســـيطة. خُذَ عدستينِ، واحدة أكبر حجمًا من الأخرى، واربط بينهما بواسطة أسطوانة منزلقة. ولتكن العدســـة الكبرى محدبة ولها القدرة على تكبير الصورة. أما العدســـة الصغرى فهي ببساطة عدســـة عينية تسمح للناظر بإلقاء نظرة مقرَّبة إلى الأشـــياء البعيدة. امسك المنظار بالطريقة الصحيحة، وستكتشف أشياء مذهلة، ولكن إن أمسكت بالمنظار بالطريقة الخاطئة، سيبدو فجأة الشـــيء الذي تريد النظر إليه مشوَّهًا، وصغيراً، وضبابيًّا. وسيضيع جمال الشيء وشكله.

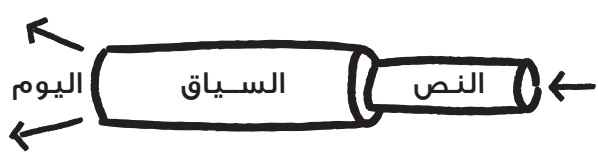

يمكن تطبيق هذا المبدأ نفسه على عملية تحضير العظة. فإن كنت تود أن تكون مفسِّراً جيدًا للكتاب المقدس، عليك أن تروِّض نفسك على أن تضع نصب عينيك الســـامعين (القراء) الأوائل أولًا. هذا من شأنه أن يحميك من تشـــويه شكل النص، ويساعدك على أن ترى ما يقصده الروح القدس لشعب كنيستك.

لكن الموضوع أكثر تعقيـدًا مما يبدو عليه في الظاهر. فلا أعتقد أن باســتطاعتي القيام بالعمل التفسيري بمفردي. لذلك أُصلِّي في كل مــرة قبل أن أجلــس لأدرس الكتاب المقدس. فمع أن هناك وســائل اعتيادية للدراسة، فأنا بحاجة إلى معونة الروح القدس غير العادية في هذه العملية. ومع أني سأشــاركك ببعض الأمور العملية التي يمكنك أن تطبِّقها في دراستك في الصفحات التالية، يجب عليك أن تفهم أنك تحت رحمة الروح القدس فيما يتعلق بفهم النص.

٢- أعطِ التحكم للقرينة (السياق) الكتابية

عندما بــدأتُ التطبيق عمليًّا، وجدتُ أنه مــن المفيد أن أفكر في السياق بطريقتين مختلفتين: **السياق الأدبي** و**السياق التاريخي**. تتعلق هاتــان الفكرتان بعضهما ببعض، وكثيراً مــا تتداخلان، غير أنه من المهــم أن نفهم الفــرق بينهما. يهتم **الســياق التاريخي** بالظروف أو الموقف الذي اســتدعى كتابة النص. وقد يتطلــب هذا منك أن تفهم الثقافــة القديمة. وربما تحتاج إلى تقويــة معرفتك بالتاريخ الكتابي. أو ربما تدرس ســفراً كاملًا محاولًا أن تجمــع الموقف الذي كان يمر به القراء الأوائل.

أما **السياق الأدبي** هو ببساطة النص القريب من نصِّك الكتابي الذي تدرسه. ويهتم بطريقة الكاتب في الكتابة أو أسلوبه التحريري، ويتساءل

عن سبب تنسيقه للسفر بهذه الطريقة. إن الآيات أو الأصحاحات التي تسبق النص والتي تليه تعطي شكلاً أو انسيابًا يساعدنا على فهم معنى النص.[١٨]

دعونا ننظر مثالًا عن كيف يجب أن يتحكم سياق النص –وليس سياقنا نحن– في معنى النص.

في (كورنثوس٦: ١٤، ١٥) نقرأ:

"لاَ تَكُونُوا تَحْتَ نِيرٍ مَعَ غَيْرِ الْمُؤْمِنِينَ، لأَنَّهُ أَيَّةُ خِلْطَةٍ لِلْبِرِّ وَالإِثْمِ؟ وَأَيَّةُ شَرِكَةٍ لِلنُّورِ مَعَ الظُّلْمَةِ؟ وَأَيُّ اتِّفَاقٍ لِلْمَسِيحِ مَعَ بَلِيعَالَ؟ وَأَيُّ نَصِيبٍ لِلْمُؤْمِنِ مَعَ غَيْرِ الْمُؤْمِنِ؟"

أتذكر أنني ذات يوم ألقيت عظة من هذا النص، وكان قصدي منها أن تساعد شعبي على التفكير في القضايا المتعلقة بالزواج أو باختيارهم لشركائهم في العمل.

١٨– كيفية حفظك للتوازن بين القرينتين التاريخية والأدبية، والأسئلة التي تطرحها على النص ستعتمد – جزئيًّا – على السفر الذي تعظ منه. فعلى سبيل المثال، في إحدى الرسائل، تريد أن تتعرف على الموقف التاريخي للكنيسة أو للفرد الذي كُتبت إليه الرسالة. ولكنك لن تريد بالضرورة أن تقرأ أحد الأناجيل بالطريقة نفسها. فإن كانت الأناجيل قد قُصد لها أن توزَّع في كل العالم، إذن فالخلفية التاريخية للقراء الأوائل الذين كُتبَ إليهم كلَ مبشِّر هي أقل أهمية من القرينة الأدبية التي تشمل كيف قام المبشِّر بجمع مادة الإنجيل الذي كتبه. للمزيد عن القراء الذين كُتبَت إليهم الأناجيل، انظر كتاب The Gospels for All Christians، أي "الإنجيل لكل المؤمنين" (Grand Rapids, MI: Eerdmans, 1998).

المشـــكلة هي أننا إن تعمقنا قليلًا داخل الســـياق التاريخي، سنرى أن الكاتب لم يكن يتحدث مباشـــرة إلينا. كان بولس يحتج على تدبير أهل كورنثوس لمعلمين متكبرين وذوي شـــعبية يديرون خدمتهم بطريقة تجعلهم يتجنبون الاضطهاد مهما كانت التكلفة. إن «فائقي الرســـل» أضلـــوا الناس بعيدًا عن الإنجيل وبعيدًا عن بولس. وقد أراد بولس أن يســـتردهم! أرادهم أن ينضموا إليـــه تحت نيرٍ واحد. لذلك، من الناحية التاريخيـــة، يجـــب أن يكون قلق بولس من مشـــكلة اقترانا بالمعلمين الكذبة هو ما يحكم تفسيرنا لهذا النص. ولا علاقة لهذا النص في المقام الأول بمن تتزوجه أو بمن تشاركه في العمل.

لا يفعل الســـياق الأدبي لهذه الآيات شيئًا سوى تأكيد ذلك. أما في الآيات الســـابقة، فيقول بولس لأهـــل كورنثوس إن قلبه لم يزل مفتوحًا لهم حتى إن كانت قلوبهم قد أغلقت عنه. فنجده يناشدهم: «كُونُوا أَنْتُمْ أَيْضًا مُتَّسِعِينَ!» (٦: ١٣)، وكذلك يناشدهم بأن يكونوا معه تحت نير واحد. ثم يعود إلى هذه المناشدة في الآيات التالية لهذا المقطع الكتابي: «اِقْبَلُونَا»، أي «اجعلوا قلوبكم رحبة لنا» (٧: ٢).

إن معرفة السياق التاريخي والسياق الأدبي يمكن أن يغير كل شيء بالنسبة لك. فالمفســـرون الكتابيون الأكفاء يسمحون للسياقين بالتحكم في تقرير معنى النص. وبالتالي، أول شيء عليك أن تعمله هو أن تبدأ في قراءة الآيات والأصحاحات السابقة للنص واللاحقة له. اسأل نفسك

مجموعة مختلفة من الأسئلة: «لماذا يوجد هذا النص في هذا المكان؟ كيف يتلاءم هذا النص مع السياق الأكبر؟ ما الموقف الذي كان يواجهه المستمعون الأصليون أو القُرَّاء الأوائل حسب النوع الأدبي؟»

٣- أصغِ إلى نغمة النص

ذكرتُ في مطلع هذا الفصل أربع طرق عملية لإعطاء الأولوية للأشياء الأكثر أهمية. وبعد أن اطلعنا على الطريقة الأولى (وهي إعطاء التحكم للسياق الكتابي)، دعونا ننظر إلى الطريقة الثانية وهي الاستماع إلى النص بانتباه لنعرف كيف يتوافق ضمن الرسالة الإجمالية للسفر.

أفضل الوعاظ هم عادة أفضل المستمعين. فهم يبدأون دراستهم وآذانهم مستعدة للاستماع. إن كان هذا هو دورنا، فمن الأفضل لنا أن نتعلم القيام بالتفسير بآذاننا وأيضًا بأذهاننا! كل مفسِّر جيد أعرفه، يقوم بالتفسير عن طريق الإصغاء للأشياء الفريدة التي يقولها الله في السفر الذي يريد المُفسِّر شرحه وتفسيره. منذ سنوات، قام لوكاس بشرح هذا المبدأ على النحو التالي:

النغمة أو السطر الموسيقي هي سلسلة قصيرة من النُوَت الموسيقية التـــي تُكوِّن مقطعًا مميزاً من أغنية. قد تكون جزءًا من لحن أساســـي يتكرر ويتنوع. تعمل أسفار الكتاب المقدس بالطريقة نفسها. فكل سفر له نغمته المميَّزة، أي له جوهره الذي يُطلع القارئ بفكرة السِّـــفر. وكل مقطع في السفر يخدم هذه النغمة بطريقة ما. يمكنك أن تفكر فيه كأنه خيط قد نُسِجَ عبر قطعة نسيج السفر كلها. أو يمكنك أن تتصوره على أنـــه قضيب معدني أفقي كالذي تُعلَّق عليه الســـتارة، حيث يُعلَّق عليه كل نصٍّ كتابي. لذا، في الوعظ، ربما نســـأل «ما جوهر الســـفر الذي أدرِسُـــه؟ وكيف يســـاعدني هذا النص الكتابي على فهم جوهر السفر، وكيف يســـاهم جوهر (نغمة أو رســـالة) هذا السِّـــفر في فهمي للنص الكتابي؟».

هذا هو الخبر المفرح للواعظ: إن كنا نعلم ما هو موضوع الســـفر ككل، يمكننا أن نفسِّـــر كل مقطع تفسيراً أفضل. كما يوجد أيضًا فائدة أخرى مهمة. إن استخدمنا نغمة (أو جوهر) السفر في وعظنا، سيتعلم مســـتمعونا تدريجيًّا موضوع السفر، حتى لو لم يتذكروا كل عظة على حدة.

كيف لنا إذن التعرف على نغمة السفر؟

دعونـــي أخبركم كيف فعلت ذلك في المدرســـة الثانوية: في مرات عديدة كان يُطلب مني أن أقرأ كتابًا كبيراً أو رواية كبيرة. وبعدها يخبرني

أستاذي أن الامتحان صار وشيكًا. وكشخص اعتاد أن يستخدم الطرق المختصرة، اكتشـــفت كيف أصِل للفكرة الرئيســـية في الكتاب بسرعة. أولًا، بحثـــتُ عن فقرة ما في المقدمـــة، رأيت أنها تقدم تصريحًا بالفكرة الرئيسية أو الغرض من الكتاب. ثم قرأت الفصلين الأول والأخير. وفي النهاية، عدتُ إلى صفحة المحتويات. وبِناء على ما قرأت، رحتُ أصِل النقاط ببعضها بالربط بين عناوين الفصول.

استخدمت بالبديهة استراتيجيات مختلفة لمعرفة جوهر الكتاب، مثل قراءة الكتاب من **الغلاف للغـــلاف**، وقراءة **البداية والنهاية** من جديد، والبحث عن **كلمـــات، ومفاهيم، وعبارات متكـــررة** ومهمة، واصطياد **الجملة التي تقدم الغرض من كتابة الكتاب.**

هذه الأدوات نفســـها يمكن أن تســـاعدك على معرفة نغمة السِّفر. اكتشفت الفائدة من إضافة هذا العنصر إلى عملية تحضير العظة منذ بضع ســـنوات. كنت أريد أن أعظ من رســـالة يهوذا القصيرة. وانتهى بي الأمـــر أني ألقيت عدة عظات من هذه الرســـالة، وقد أحببت كل دقيقة منها. غير أن التعرُّف على نغمة السِّفر قد تطلب مني بذل جهد حقيقي.

من الغلاف إلى الغلاف

قبل وقت طويل من بداية إعدادي لسلســـلة عظات رســـالة يهوذا، وضعت هذه الرســـالة في خُطة قراءاتي، وذلك بقراءتها ببســـاطة من

بدايتها إلى نهايتها، لم يكن الأمر صعب التطبيق على رسالة تتكون فقط من خمس وعشرين آية! وأقترح عليك عمل هذا لأي سفر ستعظ منه. من الجيد دائمًا في حقيقة الأمر أن تقرأ السفر كاملاً في جلسة واحدة. وسرعان ما سيبدأ السفر في أن يصبح مألوفًا لك. إن التعرُّف على السفر بمصطلحاته الخاصة، والإصغاء له، ستكون له فوائد عظيمة حين يأتي وقت الوعظ به.

قراءة البداية والنهاية

من المعتاد أن يبدأ المؤلِّف الموسيقي القطعة الموسيقية وينهيها، بنغمة معينة، حتى لو تكررت هذه النغمة عبر القطعة الموسيقية. ينطبق الأمر نفسه على أسفار الكتاب المقدس. حين علمت أني سأعظ من رسالة يهوذا بكاملها، صرفتُ وقتًا في قراءة وإعادة قراءة بداية الرسالة ونهايتها فقط. وبدأ يتردد صوت واحد فريد: **المحفوظين**. في الآية الأولى يقول يهوذا إنه يكتب للذين هم «**مَحْفُوظِينَ لِيَسُوعَ الْمَسِيحِ**». وفي الآية ٢٤ يشير إلى «الْقَادِرُ أَنْ يَحْفَظَكُمْ غَيْرَ عَاثِرِينَ». في هذه المرحلة من تحضيري للعظة، شعرت بأني جاهز أن أُخمن مؤقتًا ما الموضوع الذي يتكلم عنه يهوذا، إنه **كوننا محفوظين بالله للمسيح**.

الكلمات، والمفاهيم، والعبارات المتكررة

عند هذه المرحلة من التفسير، كنت جاهزاً لاختبار تصريحي المبدئي لفكرة النص من خلال ضبط أذنيَّ لتَكُون متناغمة مع محتوى الرسالة. هل تلعب فكرة **محفوظين بالله للمسيح** دوراً مهمًّا في تشكيل جسم الرسالة؟ ووجدت أنها تقوم بهذا الدور بالفعل. فالكلمة «**محفوظين**» نفسها، في الآية ١ (والفعل المرادف لها «**يَحْفَظَكُمْ**» في الآية ٢٤) تكررت أربع مرات: مرتان في الآية ٦ (في أول مرة تُرجمت إلى الإنجليزية «يبقى»[١٩])، ومرة في الآية ١٣ (بمعنى «محفوظ»)، ومرة في صيغة الأمر في الآية ٢١. وبقدر ما كان هذا الاكتشاف مثيراً، فقد وقف هذا الاستخدام المتكرر للكلمة متحدِّيًا نغمتي الأولى! يوصي الكاتب أولئك المحفوظين ليسوع في بداية رسالة يهوذا ونهايتها، في بقية الرسالة أن يحفظوا أنفسهم في محبة الله. وهذا يقف متباينًا مع الملائكة الساقطين والمعلمين الكذبة الذين لم يحفظوا أنفسهم وبالتالي هم محفوظون للدينونة. ولو سألني أحدهم عند هذه النقطة ما الذي كان يقصِده يهوذا، لكنت أجبت بأن **المحفوظين من الله ليسوع عليهم مسؤولية أن يحفظوا أنفسهم في محبة الله.**

١٩- لكن في العربية الفعل هو «يحفظ».

بيان الغرض من الرسالة

أخيراً، قرأت الرسالة مرة أخرى، راجيًا أن أستمع إلى بيان الغرض منها.[٢٠] ولم يستغرق الأمر طويلًا لأجد واحدًا. واسترعى انتباهي يهوذا ٣: «أَيُّهَا الأَحِبَّاءُ، إِذْ كُنْتُ أَصْنَعُ كُلَّ الْجَهْدِ لأَكْتُبَ إِلَيْكُمْ عَنِ الْخَلاَصِ الْمُشْتَرَكِ، اضْطُرِرْتُ أَنْ أَكْتُبَ إِلَيْكُمْ وَاعِظًا أَنْ **تَجْتَهِدُوا لأَجْلِ الإِيمَانِ** الْمُسَلَّمِ مَرَّةً لِلْقِدِّيسِينَ». سمحت هذه العبارة لي بأن أسمع نغمة رسالة يهوذا. وأيًّما كانت النغمة، فقد كانت بحاجة إلى أن تتضمن شعوراً بالحاجة المُلِحَّة. فلم يكن الأمر قليل الأهمية إذ أن صحة الكنيسة وقداستها هما المعرضتان للخطر!

إن رسالة يهوذا أبعد ما تكون عن قصيدة غنائية لاهوتية جافة، تهتم باستكشاف موضوع **الحفظ** و**المحفوظين** من حيث العلاقة بين سيادة الله ومسؤولية الإنسان. لا! هذه الرسالة الموجزة والقوية هي نوتة موسيقية ذات نغمات جياشة. وكنت بحاجة إلى تحديد نغمة الرسالة وجوهرها للمرة الثالثة: **مع وضع المخاطر في ذلك الوقت في الاعتبار، كانت صحة الكنيسة وقداستها تتطلب من أولئك المحفوظين من الله ليسوع أن يجاهدوا من أجل الإيمان، ويحفظوا أنفسهم في محبة الله.**

٢٠- معظم الرسائل تتضمن بيانًا يوضح الغرض من كتابتها كجزء من هيكل الرسالة. (لوقا ١: ١ – ٤) و(يوحنا ٢٠: ٣٠ – ٣١) أيضًا يصلحان كمثالين جيدين على بيان الغرض من الرسالة.

الآن وصلتُ لنغمة الرسالة. وقد تعلمتُ كذلك درسَيْنِ مُهمَّيْنِ خلال هذا الجزء من عملية التحضير. ليس فقط أني سأعظ كل مقطع كتابي منفرد على نحو أفضل، إن كنت أعرف كيف أربطه بإجمالي السفر، ولكن أيضًا أن كل استراتيجية استماع استخدمتها في هذا الجزء من عملية التفسير، تلعب دوراً مهمًّا في فهمي الإجمالي. إن أداة واحدة لاكتشاف نغمة السفر لن تكون كافية.

٤- لاحظِ البنية و المضمون «محور التركيز»

يقوم المفسرون الكتابيون بخطوة أخرى خلال المرحلة التفسيرية من عملية التحضير بالإضافة إلى إعطاء التحكم للسياق الكتابي، والاستماع إلى نغمة السفر. إذ يعمل المفسرون على فهم البنية الهيكلية للنص الذي يعظون منه. فيسألون: كيف نظَّم الكاتب هذا النص؟ ماذا يخبرنا هذا التنظيم عن المضمون الذي قصد الكاتب التشديد عليه؟

علَّق مورتيمر أدلر (Mortimer Adler) في كتابه بعنوان "كيف تقرأ كتابًا؟" قائلًا:

> يتمتع كل كتاب بهيكل بين غلافيه. ومهمتك كقارئ تحليلي أن تجد هذا الهيكل. يأتي الكتاب إليك بلحم على عظمه، وملابس على جسده، أي أن الكتاب يأتي مرتديًا ملابسه بالكامل... عليك أن تقرأ الكتاب بعينين أشبه بالأشعة السينية، لأن فهم بنية أي كتاب جزء ضروريّ لفهمنا له.[٢١]

21. Mortimer Adler and Charles Van Doren, How to Read a Book: The Classic Guide to Intelligent Reading (New York: Touchstone, 1940), 75.

إن كان أدلر على حق، إذن لن تستطيع فهم فكرة النص ما لم تفهم بنية هيكل الكتاب. بعبارة أخرى، يتطلب التفسير الكتابي الجيد منك أن ترى بنفسك عظام النص وما بها من نخاع.

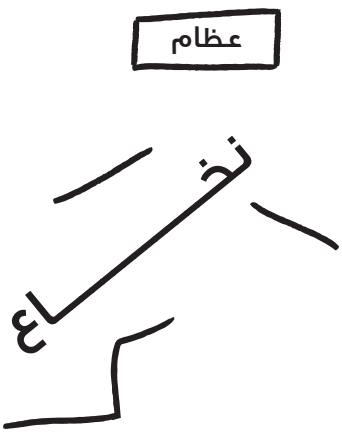

وفيما يتعلق بالوعظ، يمكننا أن نقول المزيد:

- لكل نص بنية.
- البنية تكشف عن المضمون أو محور التركيز.
- ينبغي أن تخضع عظتي لبنية النص ومحور تركيزه.

هذا الجانب من التفسير يعود بنا إلى تعريف الوعظ التفسيري الذي تحدثت عنه في المقدمة. إنه وعظ ذو سلطان يُخضِع بنية العظة ومحور تركيزها لبنية النص الكتابي ومحور تركيزه.

هذه هي المشـــكلة التي يواجهها معظمنا؛ نحن نقف لنعظ دون فهم البنية الهيكلية للنـــص. ونتيجة لذلك، لا نعرف معنى النص بوضوح، وحيـــن ننزل من المنبر بعد انتهاء العظة، لا يكون الشـــعب في حال أفضل منا. كيف إذًا نعرف بنية النص؟

استخدم أساليب القراءة الناجحة في كل مكان

عند محاولة التعرف على بنية النص الكتابي، ســـتحتاج إلى البدء بأساليب بســـيطة نافعة بغض النظر عن الجزء الذي تقرأه من الكتاب المقدس.

أولًا، استعن بترجمة حرفية للنص إن كانت متوفرة لديك. وإن كنت سعيد الحظ وتوفرت لديك أكثر من ترجمة بلغتك، اختر الأكثر حَرفية. تفســـر الترجمة الحرفية، مقارنة بالترجمة التفسيرية، عمومًا معنى كل كلمة على حدة على نحو أكثر اتساقًا، مما يجعل العظام أكثر وضوحًا للرؤيـــة. بناء عليه، ما من ترجمة واحدة بمفردها يمكنها أن تحقق ذلك تمامًـــا. قد تجد من المفيد أن تستشـــير عددًا من الترجمات. والآن، لا تـــسء فهم فكرتـــي. نحن نتكلم عن التحضير الشـــخصي الذي يركز على التعرف على بنية النص. وفيما يتعلق بالوعظ، قد تتعدد الأسباب الجيدة لاستخدام الترجمة الحرفية.

ثانيًا، إن كنت حظيت بفرصة دراسة اللغات الأصلية، استعن بها. فقد ساعدني كثيراً أن أعمل ترجمتي الخاصة للنص. تبطئ هذه العملية تقدمي، ولكني ما ألبث أن أرى ما يفعله الكاتب، وكيف يرتبط كل جزء بالوحدة الأكبر منه.

ثالثًا، اقرأ النص وأعد قراءته أكثر من مرة ببطء وبصوت عالٍ. وكلما صرفت وقتًا أكثر في قراءة النص، ستفهمه بشكل أفضل وتفهم بنيته.

رابعًا، فيما أنت تقرأ، ابحث عن الكلمات، والعبارات، والأفكار المتكررة. إذا كان الهدف هو التعرف على البنية ومحور التركيز، فإن التعبيرات المتكررة ستكون عادة أدلة أو مفاتيح لفهم المضمون.

اعرف النوع الأدبي للسفر الذي تدرسه

برغم نجاح بعض الاستراتيجيات جيدًا في جميع أنحاء الكتاب المقدس، في الحقيقة ليس كل الأنواع الأدبية تعمل بالطريقة نفسها. فلا يُنصح بالإمساك بجريدة وقراءتها بالأدوات نفسها التي تقرأ بها قصيدة شعرية. ولا يُنصح بقراءة رواية بطريقة قراءة وصفة إعداد الطعام. كذلك يجب ألا تقرأ كل سفر من الكتاب المقدس بالطريقة نفسها.

يحتوي الكتاب المقدس على أنواع أدبية مختلفة: الأدب الروائي في العهد القديم، والنبوي، والأخروي، والحكمة، والشِّعْر، والرسائل،

والأناجيل، وسفر أعمال الرسل. ومن ضمن هذه الأنواع الأدبية المختلفة، لديك ثلاثة أنواع أساسية من النصوص: **الخطاب**، و**الرواية**، و**الشعر**. كقاعدة عامة، لن تكتشف بنية المزمور (الشعر) باتباع استراتيجيات القراءة نفسها التي تستخدمها مع الإنجيل (الذي هو في الغالب رواية أو خِطاب). ستساعدك معرفة كيف تعمل أنواع النصوص المختلفة على معرفة أي أدوات هي الأفضل لفهم النصوص وتفسيرها.

الخطاب عمومًا هو مادة شفهية، ويتميز بأنه منطقي، وخطِّي. ونجده بطريقة ملحوظة في الرسائل. وكذلك نجده في الأسفار التاريخية في العهد القديم، وفي الخطابات الموجودة في الأسفار النبوية والأخروية، وفي العظات بالأناجيل وسفر أعمال الرسل. ومن أجل التعرف على البنية في الخطاب، سيفيدنا أن نكتب النص على ورقة دون تقسيمه إلى فقرات أو أعداد للآيات، تلك الأدوات التي أضافها المحررون لاحقًا لنسخ الكتاب المقدس التي بين أيدينا. هذا ما أُسميه إخراج النص من الكتاب المقدس. وتتعلق الأشياء المهمة التي ينبغي البحث عنها بالقواعد النحوية. ابحث عن الكلمات أو العبارات المتكررة، والكلمات الرئيسية، والكلمات الانتقالية، وسريان الأفكار، والعلاقات اللغوية، والجمل المستقلة والجمل التابعة، وما إذا كان النص قد كُتب بضمير المتكلم المفرد (أنا) أو ضمير المخاطَب المفرد (أنت) أو ضمير المخاطَب الجمع (أنتم) أو ضمير الغائب (هو)، وما إذا احتوى على أسئلة أو جمل خبرية أو جمل أمرية (صيغة الأمر)، وغير ذلك من

السمات اللغوية المشابهة. هذا ما يمكن أن نسميه رسم مخطط الجملة. إن استخدمتَ هذه الأدوات استخدامًا صحيحًا، ستجد عادة بنية النص ومحور تركيزه.[٢٢]

الأدب **الروائـــي** عبارة عن قصة، وتميـــل القصص إلى اتباع بنية يمكن تمييزها بوضوح. بالتالي، مع أن التركيز على قواعد اللغة يمكن أن يكون مفيدًا في تفسير الرســـالة، فإن **المشاهد**، و**الحبكة الدرامية**، و**الشـــخصيات**، تســـاعد الواعظ في التعرُّف على بنية الرواية ومحور تركيزها. إن التعرف على المشـــاهد المختلفة، على سبيل المثال، حيث يتغير المشـــهد بتغير مكان النشـــاط في نص الرواية، من المرجح أن يكون أفضل نقطة بداية. وإن اســـتخدمت لعظتك مقاطع روائية أطول، فتغير المشاهد سوف يكشف مبدأ تنظيميًا. عليك أن تبحث داخل تلك المشـــاهد (وأحيانًا عبر المشـــاهد)، عن الحبكات الروائية التي تتكون عادة من خمسة أجزاء:

- **البيئـــة:** تتضمن عادة المـــكان، والزمان، والموســـم، وتقديم الشخصيات.
- **الصراع/الحبكة:** هو الجزء الذي يُقدِّم توتراً دراميًّا وشعوراً بوجود مشكلة تحتاج إلى حل. وقد يكون واضحًا جدًّا (كتهديد عنيف)، أو قد يكون دقيقًا جدًّا (كاضطراب عاطفي).

22. See Eugene Moutoux, Drawing Sentences: A Guide to Diagramming (Louisville: Butler Books, 2010).

- **الذُّروة:** هي نقطة تغير الاتجاه أو التحول، حيث ينفجر التوتر الدرامي.
- **الحل:** تنتهي به الذروة، ويتناول كيف تم حل الصراع.
- **البيئـــة الجديدة:** هي العودة إلى الوضع الطبيعي الجديد الذي تنشأ منه الحبكة التالية.

عند محاولة التعرف على هذه الأجزاء من الحبكة، فالأسئلة المهمة التـــي ينبغي طرحها هـــي: ما هو الصراع هنا؟ ما الـــذي يخلق توتراً دراميًّـــا؟ ما هي نقطة التحول؟ كيف تم حل التوتر؟ أرى أن المضمون الذي تريد الرواية التأكيد عليه كائنٌ في توليفة معينة بين **الذروة**، وأجزاء من **الصراع** و**الحل**.

إن فهم كيفية تصوير المؤلف لشـــخصيات الرواية، هو بالطبع أحد العناصر المهمة. لاحظ أي شـــخصيات يقدمها المؤلف ومتى. ولاحظ كيـــف تتغير. وانتبه إلى كيفيـــة انتقال المؤلف ذهابًـــا وإيابًا بين هذه الشـــخصيات. إذا أدركت جيدًا الحبكة والشخصيات، ستدرك جيدًا بنية الرواية ومحور تركيزها.

الشِّعر هو النوع الثالث من النصوص. نجد معظم الأجزاء الشعرية في الكتاب المقدس في أسفار الحكمة والأسفار النبوية في العهد القديم.

للتعرف على البنية، عليك أن تتأمل تكرار الكلمات، أو المقطع الشعري بكامله (على سبيل المثال، مزمور ٤٢ و ٤٣ مبنيان على المقطع الذي مطلعه "لِمَاذَا أَنْتِ مُنْحَنِيَة يَا نَفْسِي؟») ستحتاج أيضًا أن تفكر في التغيرات التي تحدث في اللغة المجازية والأساليب اللغوية (مثل: التحوُّل في ضمير المتكلم أو في وجهات النظر). ولكن من المحتمل أن تكون الأداة الأكثر نفعًا لتتعرف على البنية ومحور التركيز في الأدب الشعري هي ملاحظة كيف يعمل **التوازي** في النص، وبخاصة الانتقال بين أنواع التوازي في النص.

التوازي مصطلح تقني يُستخدم لوصف إحدى سمات الشعر العبري، حيث نجد أن الأبيات كثيراً ما تظهر في أزواج (وأحيانًا ثلاثيات) مقترنة أو مترابطة بعضها ببعض بطرق خاصة. وقد يكون البيت الثاني تكراراً للفكرة العامة نفسها التي في البيت الأول، وربما يقوم فقط بتوسيعها قليلًا. وقد يناقض البيت الثاني البيت الأول أو ينفيه، أو يتضاد معه. وقد يُكمل البيت الثاني فكرة البيت الأول. تشير هذه العلاقات المختلفة بين البيت الأول والثاني إلى أنواع مختلفة من التوازي. وستساعدك رؤية التحوُّل في التوازي على التعرف على بنية النص ومحور تركيزه.

خطورة أن تظن أنك قد انتهيت

تُعد المعالجة الجيدة لكل من الاستراتيجيات العامة والاستراتيجيات المرتبطة بخصائص النوع الأدبي، بداية ممتازة للتعرف على بنية النص ومحور تركيزه. ويعد التعرف على سياق السِّفر ورسالته جانبين من جوانب التفسير على القدر نفسه من الأهمية. تذكَّر أنك بحاجة إلى:

١- أن تعطي السياق الكتابي، وليس سياقك أنت، التحكم في معرفة معنى النص.

٢- أن تصغي بانتباه حتى تعرف كيف يتلاءم النص مع رسالة السفر الإجمالية.

٣- أن تلاحظ بِنية النص ومحور تركيزه.

بناء على ما سبق، لا أعتقد أنك بعد جاهز للوعظ . التفسير وحده لا يكفي؛ فإذا قمنا به بمعزل عن الخطوات الأخرى، سيقودنا إما إلى الوعظ **العقلاني** الأكثر من اللازم، أو الوعظ الذي يستخدم أسلوب **الأمر**.

يحدث الوعظ العقلاني حين تَجعل قراء الرسالة الأصليين (الأوائل) موضع اهتمامك القاطع. وهذا ما يحدث حين تأخذ نصًّا ذي صلة قوية وعميقة بالمستمعين، وتجعله غير ذي صلة، وذلك بأن تكتب عظات

تُقرأ على نحو يُشـــبه كتب التفســـير الأكاديمية. إذ تتوقف عند الشرح التفســـيري، وينتهي بك الأمر إلى إنتاج خطابات مملة، ومُزوَّدة جيدًا بالاقتباسات والحواشي لكنها بلا تأثير.

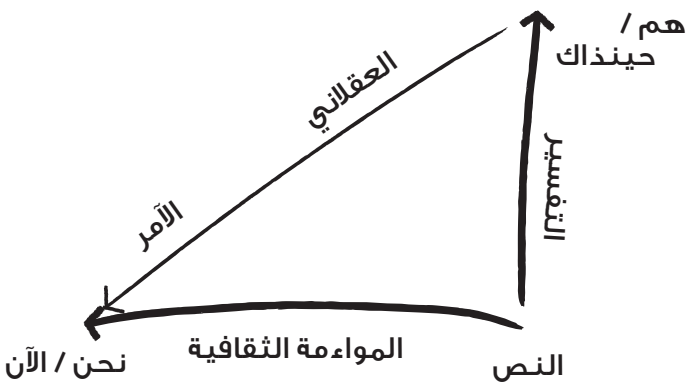

أُقابِل هـــذا النوع من الوعظ خصوصًا بين الوعاظ الشـــبان الذين يرتكبون خطأ الظن بأن العظة هي – كما يقول صديقي مايك بولمور – حاوية تخزين لكل ما تعلموه عن النص هذا الأســـبوع. حســـنًا، العظة ليســـت كذلك. أنت تحتاج ببســـاطة إلى تجنـــب الوعظ بتلك العظات المفرطة في العقلانية.

الخطر الآخر للتفسير المنعزل هو أن نصبح وعاظًا لا يستخدمون ســـوى صيغة **الأمر**. والكتاب المقدس ملـــيء بالأوامر والوصايا ذات الصلـــة، لكن يمكن أيضًا تطبيـــق الأوامر التي بدون ســـياق كتابي

ولاهوتي سليم، بطرق خاطئة جدًّا. ولعل أكثر أشكال هذه الممارسة خطورة، عندما نتجاهل مرحلة التفكير في الجانب اللاهوتي للنص (وهو ما سندرسه في الفصل التالي). إن لم نفكِّر جيدًا في سياق رسالة الإنجيل في الكتاب المقدس ككل، فحتى أفضل الأوامر تفسيراً تتحول إلى مواعظ أخلاقية؛ مما يعزز ثقافة التمسك بحرفية الناموس في كنائسنا.

يعني كل هذا أن التفكير في الجانب اللاهوتي للنص يستحق أن يوضع بعين الاعتبار، وهذا يقودنا إلى الخطوة التالية من خطوات تحضير العظة.

٣

التفكير في الجانب اللاهوتي للنص

كما رأينا في نهاية الفصل الســـابق، يصبح الوعظ التفسيري الذي يتوقف عند التفســـير، مجرد وعـــظ عقلاني أو أمري على نحو مفرط. وهكذا تصبح العظـــة أكاديمية أو أخلاقية. لا تزال المرحلة التالية من مراحـــل إعداد العظة المتمثلة في التفكير في الجانب اللاهوتي للنص، ضرورية. دون هذه الخطوة، لن تكون جاهزاً بعد للوعظ.

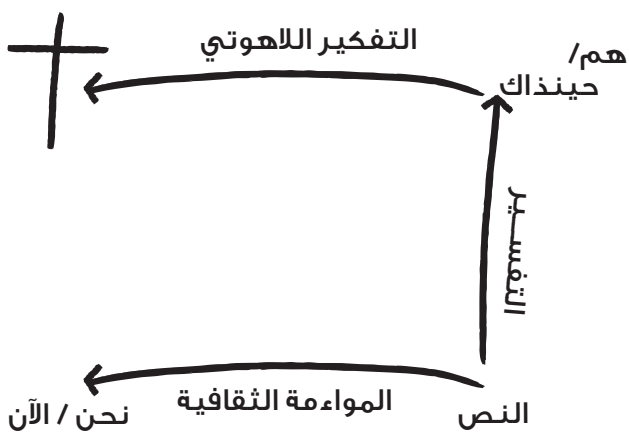

ما هو التفكير اللاهوتي؟ ببساطة هو منهج دراسي دقيق وتعبدي حيث يصرف الشخص وقتًا للتأمل في النص المراد دراسته، وعلاقة ذلك النص بخطة الله للفداء. إنه تدريب يطرح السؤال التالي: «كيف ترتبط هذه الفقرة بالكتاب المقدس ككل وخصوصًا مع أعمال الله الخلاصية في يسوع؟»

قراءة الكتاب المقدس بطريقة يسوع

انضم يسوع بعد قيامته لاثنين من تلاميذه دون أن يُفصح لهما عن هُويته في رحلة طولها سبعة أميال سيراً على الأقدام إلى قرية صغيرة اسمها عمواس. وفيما كانوا يسيرون، أوضح يسوع للتلميذَيْن ما كتبه موسى والأنبياء – أي كل الأسفار المقدسة – عن المسيح (لوقا ٢٤: ٢٥ – ٢٧). وفي وقت لاحق، في تلك الليلة، انضم إلى بقية التلاميذ الأحد عشر وفعل ذلك مرة أخرى؛ «وفَتَحَ ذِهْنَهُمْ لِيَفْهَمُوا الْكُتُبَ»، وليروا أن ما كُتِبَ عنه في ناموس موسى، والأنبياء، والمزامير لا بد أن يتحقق (ع٤٤، ٤٥). وقال أيضًا لهؤلاء الرسل إنهم سيكونون شهودًا ويأخذون هذه الرسالة ويعظون بها العالم أجمع، بدءًا من أورشليم. وتُسجل الأناجيل، وسفر أعمال الرسل، والرسائل، هذه الرسالة.

يوجد مبدأ هنا فيما قاله يسوع. يدور كل من العهد القديم والعهد الجديد بالكامل حول يسوع والأمور المتعلقة به. يشير العددان

(٤٦، ٤٧) إلى تلك الأمور الخاصة به: «هَكَذَا هُوَ مَكْتُوبٌ وَهَكَذَا كَانَ يَنْبَغِي أَنَّ الْمَسِيحَ يَتَأَلَّمُ وَيَقُومُ مِنَ الأَمْوَاتِ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ وَأَنْ يُكْرَزَ بِاسْمِهِ بِالتَّوْبَةِ وَمَغْفِرَةِ الْخَطَايَا لِجَمِيعِ الأُمَمِ مُبْتَدَأً مِنْ أُورُشَلِيمَ». (قارن «الألم» و«المجد» في لوقا ٢٤: ٢٦). وللتأكد من ذلك، نجد الكثير من العمق في هذه الجملة القصيرة. إن حكم الملكوت المتضمن في كلمة «مسيًّا» والشمول الموجود في «جميع الأمم» أفكار غنية إلى أبعد حد. ومع ذلك، تُشكِّل هذه الجملة البسيطة جوهر رسالة الإنجيل التي كانت على الأقل بالنسبة ليسوع موجودة في كل مكان في الكتاب المقدس. إنها تربط الكتاب المقدس كوحدة واحدة، ويجب أن تخبرنا كيف ينبغي التعامل مع الكتاب المقدس.

قراءة الكتاب المقدس بطريقة بولس

من المهم معرفة أن ممارسة إثبات المسيح في كل الكتاب المقدس لم تنته عند يسوع. فبولس يعطينا مثالًا على هذه الممارسة. نقرأ في سفر أعمال الرسل، أن بُولُس: «دَخَلَ إِلَيْهِمْ حَسَبَ عَادَتِهِ وَكَانَ **يُحَاجُّهُمْ** ثَلاَثَةَ سُبُوتٍ مِنَ الْكُتُبِ **مُوَضِّحًا وَمُبَيِّنًا** أَنَّهُ كَانَ يَنْبَغِي أَنَّ الْمَسِيحَ يَتَأَلَّمُ وَيَقُومُ مِنَ الأَمْوَاتِ وَأَنَّ هَذَا هُوَ الْمَسِيحُ يَسُوعُ الَّذِي أَنَا أُنَادِي لَكُمْ». (١٧: ٢، ٣). يُسجل سفر الأعمال لغة مشابهة لهذه حين كان بولس في أثينا (١٧: ١٧)، وكورنثوس (١٨: ٤)، وأفسس (١٨: ١٩؛ ١٩: ٨).

كانت ممارسة بولس واعية ودقيقة، لذلك تُخبرنا بما يلزم أن نفعله عند قراءتنا للكتاب المقدس. **أولًا**، تميزت طريقة بولس في الوعظ

بالمسيح من كل الأسفار المقدسة بمهارات التفكير المنطقي، والبرهان، والإقناع. يتمتع كل من هذه المصطلحات بخلفية غنية من فلسفة الأخلاق الهيلينية، ويُفصح عن ممارسة دقيقة ومدروسة جيدًا. **ثانيًا**، استخدم بولس هذه الأدوات في سياقات مختلفة: في المجمع، وفي السوق، وأمام جمهور من اليهود ومن اليونانيين. لم يكن يوجد طرق مختَصَرة لجمهور أو آخر. **ثالثًا**، وجد بولس طرقًا للوعظ بهذا الإنجيل نفسه في أماكن أخرى لم يكن يُفترض وجود أي معرفة كتابية مسبقة فيها. وتوجد طريقة لوعظ الذين يفتقرون إلى الخلفية والمصطلحات الكتابية.

كان بولس، على غرار يسوع، مؤمنًا بأن الكتاب المقدس يشير إلى موت يسوع وقيامته. علاوة على ذلك، تدل هذه الجوانب الثلاثة من خدمة بولس على أن التفكير اللاهوتي مهمةٌ تتطلبُ عملًا شاقًّا.

قراءة الكتاب المقدس بطريقة سبرجن

قد يكون من المفيد أيضًا دراسة طريقة شخصية أكثر حداثة في قراءة الكتاب المقدس والتي تضع يسوع في المركز. عبَّر تشارلز هادون سبرجن (Charles Haddon Spurgeon)، الواعظ المعمداني العظيم، والملقب بأمير الوعاظ، عن فهمه لهذه الفكرة على النحو التالي:

> «ألا تدرك أيها الشاب، أن من كل مدينة ومن كل قرية وكل كورة صغيرة في إنجلترا، أينما كان، يوجد طريق إلى لندن؟ وهكذا، من

كل نص من الكتاب المقدس يوجد طريق إلى المسيح. ويا أخي العزيز، إن مهمتك حين تقرأ نصًا ما، أن تقول: "الآن، ما هو الطريق إلى المسيح؟" لم أجد نصًا قط ليس فيه طريق إلى المسيح، ولم أُحسن عملًا قط ما لم أشتَمّ رائحة المسيح فيه».[٢٣]

كان سبرجن يتمتع بالحافز الصحيح؛ فهو يسأل: كيف يتطلع هذا النص إلى الإنجيل ويرتبط به؟ ومع أني لا أتفق مع سبرجن دائمًا في الكيفية التي وصل بها إلى الإنجيل في عظاته من النصوص الكتابية التي كان يعظ منها، فإن السؤال الذي طرحه صحيحًا. وكيفية إجابتنا عن هذا السؤال مهمة جدًّا إلى أبعد حد.

إنَّ تعلُّمَك التفكير في نصك المحدد من حيث علاقته بيسوع وبالإنجيل، يتطلب فهمًا نشطًا لما لا يقل عن ثلاث طرق دراسية مميزة ومؤثِّرة. لن يمكنك أن تصبح مفسِّراً بدونهم وهم: **المنهج التاريخي – النقدي، واللاهوت الكتابي، واللاهوت النظامي.**

التحدي في المنهج التاريخي – النقدي

إن كنت تدرس في سياق أكاديمي، مثلي، فمن المحتمل أن ضوءًا أحمر قد بدأ يومض في ذهنك بمجرد أن قرأتَ كلمة **لاهوتي** في الفقرة الأولى من هذا الفصل. وينبغي حقًّا أن يومض. في جوهر الأمر،

23. Charles Haddon Spurgeon, "Christ Precious to Believers" (sermon, Music Hall, Royal Surrey Gardens, March 13, 1859), http://www.spurgeon.org/sermons/0242.htm

يثير **اللاهوت** مشكلة **التاريخ**. هذا معناه أننا كثيراً ما لا نعطي الاحترام الواجب للجانب التفسيري من عملنا، فلا نتعامل بجدية مع التواريخ والأماكن التاريخية التقليدية. ونتخلى عن هذا الجانب لصالح التفكير في الجانب اللاهوتي المُبسَّط بإفراط، وإما أن نعظ بإنجيل سطحي يضاف إلى النص الذي نعظ منه، أو نعظ بعقيدة بدلًا من النص. هكذا نكون أخطأنا الطريق جدًّا، على الأقل إن وَعَظْنا بها أسبوعيًّا؛ حيث تمحو العلاقة بين المسيحية والتاريخ.

إن وعظنا بطريقة تتعامل مع الموقف التاريخي للمقطع الكتابي في العهد القديم باعتباره عديم الصلة ومجرد نقطة انطلاق للإنجيل، فإننا نُعلِّم بأن الكتاب المقدس في واقع الأمر غير مهتم بالتاريخ. وبالتالي، يصبح التاريخ متعارضًا مع العقيدة اللاهوتية. وببلوغنا هذه المرحلة، نكون على بعد جيل واحد من رؤيتنا للقيامة باعتبارها فكرة مجردة وروحية وليست حقيقة تاريخية. نحن نبعد جيلًا واحدًا فقط عن رؤية الكتاب المقدس باعتباره مجموعة أساطير ذات هدف أخلاقي عوضًا عن الحق.

بعِبارة أخرى، من المحتمل جدًّا لجيل جديد من الوعاظ الإنجيليين، بدافع الوعظ بالمسيح من الكتاب المقدس بالكامل، أن يحطموا الأساس نفسه الذي يقوم عليه الوعظ المسيحي.

هذا الاهتمام بالتاريخ ليس جديدًا. فقد أثار جون أوين (John Owen) هذه القضية حين نشـــر الطبعة الأولى من كتابه «**اللاهوت الكتابي**» باللغة اللاتينية في عام ١٦٦١م. كان جون أوين قسيسًـــا ولاهوتيًّا في إنجلترا في القرن الســـابع عشـــر. وتتناول الفصول الثلاثة الأولى من كتابـــه فكرة «اللاهوت» باعتباره شـــيئًا يتم فرضـــه على نص الكتاب المقدس وتاريخه. ولا يزال هذا القلق موجودًا معنا اليوم. فبعض كليات اللاهـــوت الأكاديمية البارزة (بما فيهم واحدة في الحي الســـكني الذي أقطن به)، لا تزال ترفض دعوة أي **لاهوتي** للكلية لهذا السبب.

كان **جيمس بار** –أستاذ العهد القديم– واحدًا من أكثر النقاد وضوحًا وبراعة بشـــأن الرغبة المســـيحية في قراءة كل شيء من خلال عدسة يسوع. وقد كتب **جيمس بار** معظم أعماله في النصف الثاني من القرن العشـــرين. إنه ينظر إلى الوعظ المســـيحي (أو الذي مركزه المسيح) بارتيـــاب لأن ذلك الوعظ كثيراً ما لا يســـمح للعهد القديم بأن يتحدث عن نفســـه. بل بالأحرى تُجْلَبُ المسيحية إليه أو تَفرض عليه الكثير، وبالتالي، يجعل العهد القديم يصمت.

يرى جيمس بار: «إن كانت المسيحية بالفعل مفروضة على العهد القديم، ســـيكون تأثير ذلك هو التقليل من قيمة العهد القديم بالنســـبة للمســـيحية وتأثيره عليها. ينبغي أن يثمر العهد القديم نتائج مســـيحية،

لكن يجب ألا نجعله مسيحيًّا أي ألا نغمره بالطابع المسيحي. ولكن هل يمكن فعل هذا؟».[٢٤]

بقدر ما هو متشكك، لا يزال جيمس بار يصيغ هذا الصراع في شكل السؤال التالي: «هل يمكن فعل هذا؟ هل يمكن أن نعظ من مقاطع العهد القديم باعتبارها نصوصًا مسيحية، دون التقليل مما تعنيه في قرينتها الأصلية؟» يطرح جيمس سؤالًا مهمًّا للغاية.

لا يسعني إلا أن أتخيل مع جيمس بار الطريقة المفرطة في التبسيط التي يستخدمها بعض الوعاظ المسيحيين في التعامل مع رؤية الله في (حبقوق ٣). في هذا الإصحاح يظهر الله بنور لامع متسربل بزى المحارب المنتصر. وبينما ينزل إلى الأرض، يصنع الله خلاصًا معجزيًّا لشعبه الذين عانى طويلًا تحت طغيان أعدائه الأرضيين. فيأتي المفسِّر المبتدئ، الذي يتصف بتمسُّكه الأعمى بالوعظ المتمركز حول المسيح، ويقول إن هذا النص قد تحقق في يسوع الذي يصنع خلاصًا عظيمًا للخطاة. لكن يأتي جيمس بار ويسأل: «بأي حق، أيها المفسِّر المسيحي، تعلن أن وعد الله لإسرائيل فيما يتعلق بأعدائه الأرضيين، يشير في الحقيقة إلى انتصار جميع الذين كانوا تحت سلطان العدو الروحي؟» ألعل هذا الواعظ الشاب قد تجاهل التاريخ لصالح إيمان «**مُرَوْحَن**»؟ ألعله **أخلى** النص من قرينته التاريخية؟

24. James Barr, The Concept of Biblical Theology: An Old Testament Perspective (London: SCM Press, 1999), 253-54.

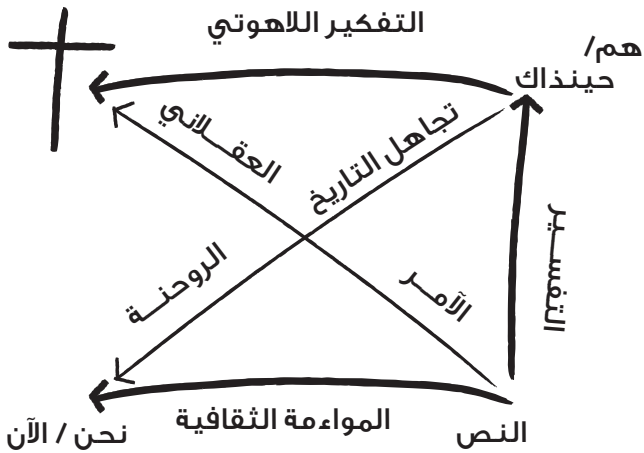

هذا المثال من (حبقوق ٣) يعود بنا إلى السؤال عما إذا كان الوعاظ يمكنهم أن يربطوا مقاطع العهد القديم بالمسيح دون أن يقللوا مما كانت تعنيه تاريخيًّا للمستمعين الأوائل. هل من طريقة سليمة تتبع المبدأ الذي أسَّســـه يسوع في (لوقا ٢٤)، بأن كل الأسفار المقدسة لها صلة برسالة إنجيلـــه، ومع ذلك لا يُخلي النص من قرينته التاريخية؟ بالتأكيد يمكننا أيضًا أن نســـأل هذا الســـؤال عن العهد الجديد. من السهل للغاية أن نَضيع في القرينة التاريخية ليهودية الهيكل الثاني، أو الخلفيات اليونانية – الرومانية، ولا نطرح البتة الســـؤال التالي: «كيف يتصل النص حقًّا بالإنجيل؟» إن صعوبة المنهج التاريخي النقدي تدور حول **كيف**. كيف نفكِّر لاهوتيًّا في النص الكتابي دون التنازل عن أمانته التاريخية؟

أول كل شيء، يجب أن يبدأ هذا السؤال الخاص بالتفكير اللاهوتي بالصلاة. وهذا معنـــاه أن «مهمة» التفكير اللاهوتي لا يمكن إنجازها سوى عن طريق الصلاة. هنالك ارتباط وثيق بين إعلان هُوية المسيح، أي: رؤيته بصفته تحقيق الكتاب المقدس، ولحظات الصلاة في سكون.

عمِلَ لوقا هذا الربط في عدد من المناســبات. عندما أجاب بطرس عن ســؤال يســوع: «مَنْ تَقُولُ الْجُمُوعُ إِنِّي أَنَا؟» قائلًا: «مَسِيحُ اللهِ»، أخبر لوقا القراء للتو بأن يسوع كان يصلي منفردًا (لوقا ٩: ١٨ – ٢٠). بعبارة أخرى، يريد لوقا من قرائه أن يعرفوا أن يســوع قد أُعلن لبطرس في ســياق الصلاة. وقبل التجلي، عندما أُعلن يسوع في مجده بصفته الابن، المختار، اصطحب يســوع بطــرس ويعقوب ويوحنا إلى الجبل ليصلي (لوقــا ٩: ٢٨ – ٣٦). وبالعودة إلى بدايــة الإنجيل، يُعرِّف لوقا ســمعان وحَنَّةَ بأنهما إنســانان متعبِّدان تقِيَّــان، وهما تصريحان يســبقان مباشــرة إعلان الله يسوع المســيح لهما (لوقا ٢: ٢٧، ٣٧؛ قــارن ٢: ٢٨ – ٣٢، ٣٨). وحتــى حين أعلن الله هوية يســوع عند معموديته، ســجَّل لوقا أن السماوات قد انفتحت وأن الله قد تكلم، مُعلنًا أن يسوع ابنه. وســجَّل لوقا أن السماوات قد انفتحت في اللحظة التي كان يسوع يصلي فيها (لوقا ٣: ٢١، ٢٢).

لم يكن ممكنًا للوقا أن يكون أوضح من ذلك: فالله قد أعلن يسوع للشعب نتيجة للصلاة. وبالتالي، إن كنا حقًّا نريد أن يُعلَنَ يسوع في عظاتنا، إن كنا نريد أن نكشف عن يسوع بصفته مركز كل الأسفار المقدسة، علينا أن نبدأ عملية تحضيرنا للعظة بالصلاة. حينها فقط يمكننا أن نبدأ مرحلة جادة من التفكير اللاهوتي في النص. وحينها فقط يمكننا أن ننتقل إلى خطوتَي اللاهوت الكتابي واللاهوت النظامي.

فائدة اللاهوت الكتابي

يطالبنا اللاهوت الكتابي بصفته فرع من فروع المعرفة اللاهوتية بأن نتراجع للوراء لنرى الصورة الكبرى، التي تعلن ما قاله الله وعمله، ولنرى كيف يتصل الكل بالنقطة المركزية لإعلانه الإلهي: موت ابنه وقيامته. أحيانًا أُعرِّف هذا الفرع بصفته طريقة لقراءة الكتاب المقدس تتبع الكشف التدريجي عن خطة الله لفداء البشر في المسيح.

يُعد اللاهوت الكتابي جزءًا ضروريًّا من الوعظ لأنه يمنع الوعظ من أن يكون مجرد وعظ عقلاني أو أخلاقي. وللتعبير عن ذلك بإيجابية، إنه يجذبك بطريقة سليمة إلى جوهر الإنجيل المسيحي من نصوص معينة في الكتاب المقدس، مثلما يوضِّح يسوع في (لوقا ٢٤)، حين يربط كل الأسفار المقدسة بنفسه. فاللاهوت الكتابي يحافظ على الشيء الأساسي بصفته الشيء الأساسي.

كيف إذن يعمل اللاهوت الكتابي؟ كيف نستخدمه بطريقة صحيحة في وعظنا التفسيري؟ كيف نستخدم اللاهوت الكتابي في تحضير العظات؟ أعتقد يجب فعل ثلاثة أشياء:

١- الحصول على لاهوت كتابي

٢- الاسترشاد بالعهد الجديد

٣- الربط الجيد بين نصوص الإنجيل

١- الحصول على لاهوت كتابي

لا يمكنك استخدام ما لست تملكه، لذلك لا بد أن تكون الخطوة الأولى هي أن يكون لديك لاهوت كتابي. وأفضل طريقة للحصول عليه هي قراءة الكتاب المقدس بانتظام وبالكامل. لا يمكن لشيء أن يجهِّزك لاكتشاف العلاقات بين النصوص أفضل من امتلاكك معرفة عميقة وداخلية بالكتاب المقدس بالكامل. اجعل من قراءة الأسفار المقدسة بانتظام في روح الصلاة عادة. وابحث عن جوهر أو نغمة السفر في أثناء قراءتك له. وكلما صرفت وقتًا في البحث عن الصورة الكبرى، صار استيعابك لها أفضل.[٢٥]

٢٥- هناك أيضًا مصادر ثانوية للاهوت الكتابي. لقد اكتسبت مهارة الحصول على اللاهوت الكتابي من جيرهاردوس فوس. هذا الرجل كان يفهم الكتاب المقدس بالارتباط مع الحقب الزمنية (الحقبة الموسوية، النبوية، العهد الجديد). ثم انتقلت من فوس إلى كتاب جوناثان إدواردز «تاريخ عمل الفداء» A History of the Work of Redemption. لقد قسَّم حبكة القصة إلى ثلاث فترات تاريخية أيضًا: من السقوط إلى التجسُّد، من التجسُّد إلى القيامة، ومن القيامة إلى نهاية العالم. بعد ذلك قرأت كتاب جريام جولدزورثي "الإنجيل والملكوت Gospel and Kindom". ووجدت أنه يرى أن "الملكوت" هو الموضوع المهيمن الذي يربط الكتاب المقدس بكامله معًا (أوصي بأن تبدأ بقراءة كتاب جولزورثي). أما إذا كنت تريد أن تبدأ بشيء مبسَّط، فاقرأ كتاب فون روبرتس "صورة الله الكبرى God's Big Picture". أما إن كنت تريد قراءة شيء أكثر تبسيطا فعليك بالكتاب المقدس المُصَوَّر الذي يناسب مستوى الأطفال في عمر السادسة The Big Picture Story Bible.

بالطبع، وأنت تطوِّر لاهوتك الكتابي على نحو أوسع، ستظل بحاجة إلى عمل تلك الروابط في تحضيرك لعظتك أسبوعيًا. ولكن تذكَّر يجب فعل ذلك بطريقة تحترم التاريخ والأدب الكتابِيَّيْن. ليس الأمر ببساطة مجرد سؤال: «أين يسوع في هذا النص؟» فيسوع ليس مختبئًا تحت كل صخرة أو خلف كل شجرة. إنما نحتاج إلى البدء بأسئلة مختلفة قليلًا، على سبيل المثال: يمكنك أن تبدأ بشيء مثل:

- كيف يؤثر الإنجيل في فهمي لهذا النص؟
- كيف يتوقع هذا النص الإنجيل أو يفكر فيه؟
- غير أن الأسئلة الجيدة لن تقوم بالعمل كله.

٢- استرشد بالعهد الجديد

أول اللاهوتيين الكتابيين الذين قاموا بتوحيد العهدين هم كُتَّاب العهد الجديد. يصعب أن يقلب المرء أي صفحة من صفحات العهد الجديد دون أن يرى إشارة واضحة إلى شيء من العهد القديم، ناهيك عن التلميحات التي لا تُعَد ولا تُحصى. ومن الواضح أن في هذا مساعدة كبيرة لأي شخص يريد أن ينشغل باللاهوت الكتابي. بذلك يصبح العهد الجديد أشبه بمنجم ذهب زاخر بأدوات ومبادئ لتكوين اللاهوت

الكتابي. حين يشير النص المراد تفسيره إلى نصٍّ آخر أو يرتبط به (في العهد نفسه أو خاصة عبر العهدين)، إذن صار لديك بداية جيدة.[٢٦]

كنت قد اشرت في وقت سابق بهذا الفصل، أن طريقة وعظ بولس في سفر الأعمال تدل على حقيقة أن ربط الكتاب المقدس بالواقع التاريخي لموت يسوع وقيامته أمر يتطلب تفكيراً عميقًا ودقة. غير أني أعتقد أن النظرة السريعة إلى عظته في أثينا في (أعمال ١٧: ٢٢ – ٣١) تمدنا ببعض الأفكار القليلة عن كيفية إجراء مثل هذا الربط. ومع أن عظته لا تفسر نصًّا كتابيًّا محددًا، فإنها تكشف عن شكل الإنجيل في الكتاب المقدس. وهذا الشكل ظاهر خصوصًا في الطريقة يُسلط بولس الضوء بها على بعض المفاهيم والعقائد اللاهوتية.

المقدمة

- يحوّل بولس عناصر ثقافية أيقونية، إلى مداخل للحديث عن الله (العددين ٢٢، ٢٣).

جسم الرسالة

- يبدأ بولس من البداية، من خلق الله للسماوات والأرض (العدد ٢٤أ).

٢٦– يوجد طريق مختصر أفضل، أستخدمه تقريبًا كل أسبوع وهو فهرس (جدول) يأتي مع طبعة Nestle-Aland الثامنة والعشرين. حتى إن لم تكن تقرأ اليونانية، هذا الفهرس سيساعدك لأنه يسرد قوائم بكل التلميحات والإشارات الضمنية واستشهادات كتاب العهد الجديد بنصوص من العهد القديم.

- ويكشـــف عن أن مشـــكلة البشـــر الكونية هي عبادة الأوثان (العددين ٢٤ب، ٢٥).
- ويشـــدّد على سرمدية الله ورغبته في أن يكون في علاقة معنا (الأعداد ٢٦ – ٢٨).
- ويعلـــن أن الإنســـان مذنـــب، وبالتالي يدعو بولس البشـــر إلى التوبة (العددين ٢٩، ٣٠).

الخاتمـــة

- يشـــير بولس إلى يسوع المُقام من بين الأموات باعتباره الشخص الذي ينبغي تقديم الولاء له (العدد ٣١).
- يختم بأن الله يدين العالم بالبر (العدد٣١).

لم يستغرق الأمر من بولس سوى ثمانية أعداد ليغطي من التكوين إلى الرؤيا. وقد انتقل بســـهولة من البداية إلى النهاية، من الخلق إلى نهاية الأيام، متحدثًا عن الله بصفته الخالق، وعن البشـــرية الساقطة، وعن المسيح المُقام من بين الأموات، الذي سيأتي ثانية ليدين المسكونة في يوم محدَّد في السماء. وهكذا تُقدم هذه العظة نموذجًا لكيفية الوعظ بفاعلية بينما ننتقل عبر التاريخ الكتابي بكامله بنظرة شاملة وفي مساحة ضيقـــة. يمكننا تعلُّـــم الكثير من الطريقة التي كان بولس يســـتخدمها ويمارسها، أينما كنا في الكتاب المقدس.

هاتـــان الطريقتان الأُولَيَان اللتان تَســـتخدمان اللاهوت الكتابي في تحضير عظاتنا، تُرســـخ لنا أساسًـــا مهمًّا. ستحتاج أن تتمتع بلاهوت كتابـــي، أي فهم للكتاب المقدس ككل، وكيـــف أن أجزاءه كلها تتواءم معًـــا. ويلزمك أيضًا أن تفهم كيف يرتبـــط العهد الجديد بالعهد القديم، وكيف يتنبأ العهد القديم بالعهد الجديد. ولكنك – وهذا مهم – ستحتاج إلـــى أدوات لربط روابط معينة حتى حين لا تمهد الاستشـــهادات من العهد القديم الطريق.

٣- اربط جيدًا بين النص الكتابي ورسالة الإنجيل

إن كان مـــا عرضته من حجج في الأجزاء الســـابقة صحيحًا، إذن تكمن الصعوبة في تحديد الروابط بين النص الذي تعظ منه، ورســـالة الإنجيل. وفيما يلي أربع فئات لربط النص برسالة الإنجيل، أعتقد أنها ستُساعدك على البدء في التفكير اللاهوتي الكتابي:

- تحقيق النبوة
- المسار التاريخي
- الموضوعات الرئيسية
- التشابهات

لا يمكن إنكار أن هذه الفئات تتداخل فيما بينها بقدر كبير؛ فلا توجد دائمًـــا حدود فاصلة واضحة للتمييـــز بينها. قد يكون تحقيق النبوة من

خلال موضوع رئيســـي أو تشابه. وقد يستخدم التشابه الفكرة الرئيسية. وقد تتضمن الفكرة الرئيسية مساراً تاريخيًّا. وقد نجد فئات مميزة أخرى. والشـــيء المهم ليس هو كيف تُعرِّف تلـــك المفاهيم والعقائد اللاهوتية وتنظمهـــا، بل كيف تربط ربطًا شـــرعيًّا صحيحًا بين النص ورســـالة الإنجيل؛ إذ أن هذه المفاهيم والعقائد ليست ببساطة إلا نقطة البداية.

ابحث عن تحقيق النبوة

مـــن المحتمل أن تكون أوضح الروابط هي تلك الروابط الصريحة. لا شـــك، أنك تعرف أنه في مرحلة معينة فـــي العهد القديم، قطع الله وعدًا عن المسيا الآتي. وفي العهد الجديد، يأخذ الكُتَّاب هذه اللحظات النبوية ليوضحوا كيف تحققت في هُوية المسيح وأعماله.

واحد من أســـهل الأمثلة على تحقيق النبوة، نراه في استخدام مَتَّى لكلمة **يكمل أو يتمم**. في عشرة أو إحدى عشر موضعًا في إنجيل مَتَّى، نجده يقتحم الرواية ليدلي بملاحظة مفادها أن يسوع قد تمَّمَ أو كمَّلَ ما تنبأ عنه أحد أنبياء العهد القديم. ومنذ الخروج من مصر إلى استخدام يسوع للأمثال (متى ٢: ١٤، ١٥؛ ١٣: ٣٥)، تمَّم جزء كبير من حياة يســـوع مباشـــرة نبوات من العهد القديم. وفي الواقع، أوضح يسوع هذه الفكرة عينها قبيل ذروة رواية الإنجيل.

«أَتَظُنُّ أَنِّي لاَ أَسْتَطِيعُ الآنَ أَنْ أَطْلُبَ إِلَى أَبِي فَيُقَدِّمَ لِي أَكْثَرَ مِنِ اثْنَيْ عَشَرَ جَيْشًا مِنَ الْمَلاَئِكَةِ؟ فَكَيْفَ **تُكَمَّلُ** الْكُتُبُ: أَنَّهُ هَكَذَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ؟ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ قَالَ يَسُوعُ لِلْجُمُوعِ: كَأَنَّهُ عَلَى لِصٍّ خَرَجْتُمْ بِسُيُوفٍ وَعِصِيٍّ لِتَأْخُذُونِي! كُلَّ يَوْمٍ كُنْتُ أَجْلِسُ مَعَكُمْ أُعَلِّمُ فِي الْهَيْكَلِ وَلَمْ تُمْسِكُونِي. وَأَمَّا هَذَا كُلُّهُ فَقَدْ كَانَ لِكَيْ **تُكَمَّلَ** كُتُبُ الأَنْبِيَاءِ. حِينَئِذٍ تَرَكَهُ التَّلاَمِيذُ كُلُّهُمْ وَهَرَبُوا» (متى ٢٦: ٥٣ – ٥٦).

تُعد استراتيجية مَتَّى في رسم خطوط مستقيمة لتحقيق النبوات بين العهد القديم ويسوع، بسيطة بما يكفى. يستخدم إنجيلي يوحنا ولوقا أيضًا هذه الاستراتيجية. وقد أصبحت جزءًا من أسلوب الرسل في الخدمة في الكنيسة الأولى. على سبيل المثال، تتضمن عظة بطرس في أعمال ٣ دفاعًا مهمًّا: «وَأَمَّا اللهُ فَمَا سَبَقَ وَأَنْبَأَ بِهِ بِأَفْوَاهِ جَمِيعِ أَنْبِيَائِهِ أَنْ يَتَأَلَّمَ الْمَسِيحُ قَدْ تَمَّمَهُ هَكَذَا». (أعمال ٣: ١٨؛ قارن ١٣: ٢٧). استند يعقوب أيضًا على هذه الاستراتيجية حين تكلم عن تبرير إبراهيم بالإيمان (يعقوب ٢: ٢٣).

بالطبع يعمل أسلوب الربط هذا بالطريقة العكسية أيضًا؛ إذ يمكنك أن تبدأ بالعهد القديم لترى تحقيق الوعود في المسيح يسوع صراحة في العهد الجديد. على سبيل المثال، يخبر موسى بني إسرائيل أن الله سيقيم نبيًا آخر مثله سيبلِّغهم بكلمة الله؛ ويخبرنا بطرس أن يسوع قد حقَّق هذا الوعد (تثنية ١٨: ١٥ – ٢٢؛ أعمال ٣: ٢٢ – ٢٦).

ابحث عن المسار التاريخي

طريقـــة ثانية لربط نصِّك بالإنجيل، هي البحث عن توالي الأحداث التاريخية أو **المســـارات التاريخية**. وينطبق ذلك على تحقيق النبوات، ويعتمد البحث عن المسار التاريخي للنص على فكرة أن الله يعلن ذاته على نحو تدريجي، وبالتالي يتمتع تاريخ الفداء باتجاه أو مســـار يبلغ ذروته في الصليب. غير أن هذه الاســـتراتيجية الخاصة تتطلب منا أن ننتبه إلى الحبكات الروائيـــة المميزة أو قصة التاريخ الفدائي، ومن ثم نُبرز معالم النقاط المحورية.[٢٧] على ســـبيل المثال، يمكننا أن نُلَخِّص تاريـــخ الفداء في المراحل التالية: الخلق، والســـقوط، والفداء، والخليقة الجديدة. قد يشـــير المقطع الكتابي إلى واحدة من هذه المراحل بطريقة تمكِّننا من وضع المقطـــع الكتابي ضمن تاريخ الفداء. إن ربط النص بالإنجيل يصير سهلًا بقدر سهولة توضيح موقعه في حبكة الرواية.

هذا المنهج بسيط إلى حد ما. لرسم قوس في أحد برامج الحاسوب، أنت بحاجة إلى ثلاث نقاط مرجعية على الأقل. إنها مســـألة هندسية. على المنوال نفســـه، لرسم مســـار تاريخي في الكتاب المقدس ورؤية كيفية ارتباطه بالإنجيل، أعتقد أنك بحاجة إلى ثلاث نقاط. من الأسهل أن أتناول النص وأرســـم نقطة سابقة في تاريخ الفداء ونقطة تالية في تاريخ الفـــداء ترتبطان بالنص الكتابي. هـــذا يعطيني ثلاث نقاط في

27. Sidney Greidanus, Preaching Christ from the Old Testament: A Contemporary Hermeneutical Method (Grand Rapids, MI: Eerdmans, 1999), 234-40.

تاريخ الفـــداء. ومن هنا، يكون لديَّ مســـار تاريخي يوضح لي كيف يرتبط نصِّي بالإنجيل.

على سبيل المثال، يشدد ســـفر (الجامعة ١٢: ١ – ٨) بقوة على تذكُّـــر الخالق. وهكذا يفعل (رومية ١) يشـــير كلا النصَّين إلى نقطة محددة فـــي تاريخ الفداء تتبع منها بقية تاريـــخ الفداء. يمكنك الرجوع للخلق نفسه في الكتاب المقدس (تكوين ١ – ٢) أو التقدم للأمام لفكرة الخليقـــة الجديدة (٢كورنثوس ٥: ١٧)؛ فهمـــا فترتان في تاريخ الفداء يمكنهمـــا أن يصلا بك إلى مركز الفـــداء. وهذه الطريقة لربط النص، مفيـــدة خصوصًا حين يكون مقطعك الكتابي ذا محتوى أَخروي أو نبرة نبوية. تتضمن الخليقة الجديدة نفسها تتميم المجيء الثاني للمسيح بكل مقتضياته.

ابحث عن الموضوعات الرئيسية

تربـــط إحدى الطرق الأخـــرى، الكتاب المقدس بالكامل، برســـالة الإنجيـــل، عن طريق **الموضوعات** الكتابيـــة اللاهوتية. يعلنُ الله ذاته تدريجيًّـــا من خـــلال موضوعات معينة، أو عناصر وأفكار رئيســـية، عبر الكتاب المقدس كله. وبرغم إدراكنا عمومًا لما يزيد على عشـــرين موضوعًا، تتضمن الموضوعـــات الكبرى الملكوت، والعهد، والهيكل / والكاهن / والذبيحة، والخروج / والسبي / والراحة.

يُعد فهم كيفية عمل الموضوعات أمراً مهمًّا. على سبيل المثال، مع أن خروج شـــعب إسرائيل حدث تاريخي مسجل في سفر الخروج، فإنه يقـــدم لنا أيضًا فكرة متكررة طوال الكتاب المقدس: الله يخلِّص شـــعبه من العبودية عبر التجـــارب، ويأتي بهم إلى مكان بركته. وعندما يبدأ الأنبياء في وصف الســـبي والعودة منه، يصفونه «بالخروج الجديد». إذن موضوع الخروج هذا يتحقق تحقيقًا نهائيًا في موت المسيح وقيامته (قارن لوقا ٩: ٣٠ – ٣١).

أتذكر إحدى المناسبات حيث كنت أدرس (لوقا ٢٢: ١٤ – ٣٠). وكان موضـــوع **الملكوت** يبدو واضحًا بمـــا يكفي. ففي النهاية، وردت الكلمة أربع مرات، وهو الموضوع السائد في بقية إنجيل لوقا. لكني فيما كنت أقرأ، اســـترعى انتباهي موضوعٌ آخـــر هو العهد. تأمَّل: «وَكَذَلِكَ الْكَأْسَ أَيْضًا بَعْدَ الْعَشَـــاءِ قَائِلًا: «هَذِهِ الْكَأْسُ هِيَ الْعَهْدُ الْجَدِيدُ بِدَمِي الَّذِي يُسْفَكُ عَنْكُمْ». (ع٢٠).

لم ترِد كلمة **عهد** في لوقا سوى مرتان، هنا وفي (١: ٧٢). فرُحْتُ أدرسُ عبـــر العهود المختلفة في الكتـــاب المقدس. ورأيت أنه من نوح إلـــى إبراهيم إلى داود ظل العهد موضوعًـــا مهمًّا وغنيًّا. غير أن هذه الإشارة في لوقا هي بالتأكيد أكثر خصوصية. لم يكن هذا مجرد عهد، بل كان «عهدًا جديدًا». ويرتبط العهد الجديد أيضًا بالعشاء الأخير في (١كورنثوس ١١: ٢٥)، ولكنه في الحقيقة قادني إلى أول استخدام في الكتاب المقدس لهذه العبارة، في (إرميا ٣١: ٣١ – ٣٤).

«هَا أَيَّامٌ تَأْتِي يَقُولُ الرَّبُّ وَأَقْطَعُ مَعَ بَيْتِ إِسْـرَائِيلَ وَمَعَ بَيْتِ يَهُوذَا عَهْـدًا جَدِيدًا. لَيْسَ كَالْعَهْدِ الَّذِي قَطَعْتُهُ مَعَ آبَائِهِمْ يَوْمَ أَمْسَـكْتُهُمْ بِيَدِهِـمْ لأُخْرِجَهُمْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ حِينَ نَقَضُـوا عَهْدِي فَرَفَضْتُهُمْ يَقُولُ الرَّبُّ. بَلْ هَذَا هُوَ الْعَهْدُ الَّذِي أَقْطَعُهُ مَعَ بَيْتِ إِسْـرَائِيلَ بَعْدَ تِلْكَ الأَيَّامِ يَقُولُ الرَّبُّ: أَجْعَلُ شَـرِيعَتِي فِـي دَاخِلِهِمْ وَأَكْتُبُهَا عَلَى قُلُوبِهِمْ وَأَكُونُ لَهُمْ إِلَهًا وَهُمْ يَكُونُونَ لِي شَـعْبًا. وَلاَ يُعَلِّمُونَ بَعْدُ كُلُّ وَاحِدٍ صَاحِبَـهُ وَكُلُّ وَاحِدٍ أَخَاهُ قَائِلِينَ: «اعْرِفُوا الرَّبَّ» لأَنَّهُمْ كُلَّهُمْ سَيَعْرِفُونَنِي مِنْ صَغِيرِهِمْ إِلَى كَبِيرِهِمْ يَقُولُ الرَّبُّ. لأَنِّي أَصْفَحُ عَنْ إِثْمِهِمْ وَلاَ أَذْكُرُ خَطِيَّتَهُمْ بَعْدُ».

كان فهمـــي لارتباط العهد الجديد بـ (إرميـــا ٣١) مفيدًا، نظراً لأنه قادني إلى ثلاثة روابط أخرى على الأقل ســـاعدتني في عظتي. الرابط الأول، يتعلق بالتأكيد الظاهر فـــي لوقا المتعلق بأخلاقيات الملكوت. في (إرميا ٣١: ٣٤)، يتكلم الله عن ملء أولئك المســـتفيدين من العهد الجديد بمصطلحَي «أكبرهم» و»أصغرهم». وفي لوقا يشير يسوع إلى هذا الموضوع الأساســـي على نحو متكرر (انظر ٧: ٢٨ و٩: ٤٨)؛ ويظهرون أيضًا بمصطلحي **الآخـــرون** و**الأولون أو** كمعيار أخلاقي فـــي الملكـــوت أن يكون المـــرء متضعًا فـــي (١٣: ٣٠؛ ١٤: ١١؛ و١٧: ٧ – ١٠). في المقطع نفســـه الذي كنت أدرسه في (لوقا ٢٢)،

ربَطَ يسوع فوائد العهد الجديد بأخلاق التلمذة كخدمة، باعتبار الخادم هو أصغر الكل وليس أكبرهم، أي أعظمهم (الأعداد ٢٤ – ٢٧).

يتعلق الارتباط الثاني الذي عزَّز العظة، بالمشاركة. لم يكن الله يقطع عهدًا فحسب، بل كان يُعيِّن ملكوتًا عبر العهد. إن لغة العهد، وبخاصة الفعل «أقطع» في (إرميا ٣١: ٣١ – ٣٤) يرتبط بالفعل **أجعل** في (لوقا ٢٢: ٢٩): «أَنْتُمُ الَّذِينَ ثَبَتُّوا مَعِي فِي تَجَارِبِي وَأَنَا **أَجْعَلُ** لَكُمْ كَمَا **جَعَلَ** لِي أَبِي مَلَكُوتًا لِتَأْكُلُوا وَتَشْرَبُوا عَلَى مَائِدَتِي فِي مَلَكُوتِي وَتَجْلِسُوا عَلَى كَرَاسِيَّ تَدِينُونَ أَسْبَاطَ إِسْرَائِيلَ الاثْنَيْ عَشَرَ» (لوقا٢٢: ٢٨ – ٣٠)

الارتباط الثالث، على غرار التلاميذ، لا نحتاج إلى الاهتمام بأن نكون الأعظم (لوقا ٢٢: ٢٤). يَعِدُنا يسوع بجوانب من مُلكه في (٢٢: ٣٠). من المثير للاهتمام أن القرينة في (إرميا ٣١) تُركِّز على إسرائيل الموحَّدة، التي يلقى فيها الأسباط معاملة الكيان الواحد الذي في سلطته أن يدين العالم أجمع (انظر على نحو خاص (إرميا ٢٥: ١٧ –٢٩).

نتيجة للربط بين (لوقا ٢٢) و(إرميا ٣١) من خلال موضوع العهد، استطعت أن أعظ من (لوقا ٢٢: ١٤ – ٣٠) بشكل أفضل. لم تكن مجرد عظة عن عهد الله الذي قطعه لأجل خلاصنا، بل أظهرت عهدًا أشارك فيه وأمارسه.

ابحث عن التشابهات

من أكثر الاستراتيجيات شيوعًا التي يستخدمها الوعاظ ويسيئون استخدامها، هي استراتيجية **التشابه**. يبدو هذا الفرع من اللاهوت الكتابي، من ناحية، مُخيفًا، لأنه يتطلب التمييز بين التشابه، والرمز، والمجاز، والاستعارة، ومجموعة متنوعة من المصطلحات التقنية الأخرى. وبالطبع أحذرك من الانجذاب للمصطلحات التقنية أكثر من اللازم، لأن العلماء والوعاظ المختلفين يُعرِّفونها بطرق مختلفة.

علاوة على ذلك، من السهل أن تبالغ في الأمر؛ فحالما يصبح مصطلح ما مألوفًا لديك، ولنقل مثلًا، الرمز، يُحاط كل شيء تراه بإطار من المصطلحات الرمزية، وكل وعظك يحشر داخل علبة التفسير الرمزي الضيقة، سواء كان ما تعظ به رمزاً بالفعل أم لا.

التشابه فئة أوسع لمقارنة أوجه الشبه والاختلاف بين شيئين. تُعرف القصص الجيدة جزئيًّا بقدرتها من بداية القصة، على تحديد الشخصيات والأشياء وسماتهم ووظائفهم التي سيكون لها مغزى كبير لاحقًا في القصة. وهذا ما يجعلنا نرغب في قراءة كتاب أو مشاهدة فيلم للمرة الثانية. لا تكتسب التفاصيل الأولى التي أخفاها المؤلف عن غير قصد في أول الأمر أهمية كبيرة، سوى بعد أن يكشف المؤلف أخيراً عن قصده الخفي. وكما يقول المثل: «مَجْدُ اللَّهِ إِخْفَاءُ الأَمْرِ وَمَجْدُ الْمُلُوكِ فَحْصُ الأَمْرِ» (أمثال ٢٥: ٢). يبدو أن الله، لحكمته غير المحدودة، قد منح حياة بعض الأفراد، والأشياء، والأحداث في تاريخ

إسرائيل معنًى تشبيهيًّا يتحقق في المسيح. ويُعد تعلُّمُ كيفية التعرُّف على هذه التطابقات في الكتاب المقدس، ضروريًّا للتفسير الجيد.

قد تكون هذه التطابقات عامة، وفي هذه الحال نطلق عليها ببساطة تشابهات، أو قد تكون محددة. عندما تستَبِق شخصية كتابية، أو حدث، أو مؤسســـة، أو شيء في الكتاب المقدس – بطريقة محددة – جوانب معينة من يســـوع المسيح، نطلق على ذلك **رمز**. و**الرمز له** طابع نبوي ومتصاعد في أهميته.[٢٨]

على ســـبيل المثـــال، إن كان الملك داود رمزاً للمســـيح، إذن داود (الذي يُطلَق عليه **الرمز**) يتطابق مع يســـوع المسيح (الذي يُطلَق عليه **المرموز إليه** أي المُشار إليه بالرمز) في المُلك، حيث يتصاعد معنى المُلك في الأهمية، حيث إن يسوع يشبه داود، ولكنه أعظم من داود.

لننظـــر الآن إلى أحد الأمثلة.. في كنيســـتي في منطقة هايد بارك بشـــيكاغو، بجوار جامعة شيكاغو، نقدم عظات طوال السنة الدراسية. ولأن عددًا كبيراً من النـــاس يغادر في إجازات الصيف، فمن المعقول أن نخصص وقت الصيف لعقد سلسلة من العظات. وكنا قد قررنا في بضع فترات صيفية، أن نعظ من سفر صموئيل الأول والثاني. وحظيت بامتياز أن أعظ ممـــا كنت أعتقد أنه أحد أكثر الإصحاحات المظلمة (المبهمة) في الكتاب المقدس: (١ صموئيل ٢٨).

28. G. K. Beale, Handbook on the New Testament Use of the Old Testament: Exegesis and Interpretation (Grand Rapids, MI: Baker Academic, 2012), 14.

بنهاية الإصحاح صارت فكرة التشابه أكثر إثارة لي بالفعل.

«فَأَسْرَعَ شَاوُلُ وَسَقَطَ عَلَى طُولِهِ إِلَى الأَرْضِ وَخَافَ جِدًّا مِنْ كَلاَمِ صَمُوئِيلَ، وَأَيْضًا لَمْ تَكُنْ فِيهِ قُوَّةٌ، لأَنَّهُ لَمْ يَأْكُلْ طَعَامًا النَّهَارَ كُلَّهُ وَاللَّيْلَ. ثُمَّ جَاءَتِ الْمَرْأَةُ إِلَى شَاوُلَ وَرَأَتْ أَنَّهُ مُرْتَاعٌ جِدًّا، فَقَالَتْ لَهُ: هُوَذَا قَدْ سَمِعَتْ جَارِيَتُكَ لِصَوْتِكَ فَوَضَعْتُ نَفْسِي فِي كَفِّي وَسَمِعْتُ لِكَلاَمِكَ الَّذِي كَلَّمْتَنِي بِهِ. وَالآنَ اسْمَعْ أَنْتَ أَيْضًا لِصَوْتِ جَارِيَتِكَ فَأَضَعَ قُدَّامَكَ كِسْرَةَ خُبْزٍ وَكُلْ، فَتَكُونَ فِيكَ قُوَّةٌ إِذْ تَسِيرُ فِي الطَّرِيقِ. فَأَبَى وَقَالَ: لاَ آكُلُ. فَأَلَحَّ عَلَيْهِ عَبْدَاهُ وَالْمَرْأَةُ أَيْضًا، فَسَمِعَ لِصَوْتِهِمْ وَقَامَ عَنِ الأَرْضِ وَجَلَسَ عَلَى السَّرِيرِ. وَكَانَ لِلْمَرْأَةِ عِجْلٌ مُسَمَّنٌ فِي الْبَيْتِ، فَأَسْرَعَتْ وَذَبَحَتْهُ وَأَخَذَتْ دَقِيقًا وَعَجَنَتْهُ وَخَبَزَتْ فَطِيراً، ثُمَّ قَدَّمَتْهُ أَمَامَ شَاوُلَ وَأَمَامَ عَبْدَيْهِ فَأَكَلُوا. وَقَامُوا وَذَهَبُوا فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ» (١صموئيل ٢٨: ٢٠ – ٢٥).

كانت حياة شاول قد قاربت نهايتها. وقد طلب لتوه من العرّافة أن تستحضر له روح صموئيل حتى ينطق صموئيل بدينونة الله على شاول، كما فعل في (الإصحاح ١٥). قال صموئيل لشاول إن حياته ستنتهي في اليوم التالي. وهكذا، كسَرَ شاول خبزاً وأكل وبرفقته عبداه والعرّافة. كان ممانعًا في البداية، ولكن في النهاية أطاع شاول كلام

العرّافة لرغبته الشديدة في أن يسمع كلمة من الله. فاحتفلوا بعمل وليمة من الفطير وعجل مسمَّن، وفي اليوم التالي، سقط شاول على سيفه ومات.

التشابه هنا مثير للاهتمام بطريقة ملحوظة. فلدينا من ناحية، تشابه عكس وليمة الفصح. فشاول وأبناؤه يُحدِّقون بإمعان في دينونة قضت بحكم الموت الذي لا يمكن إلغاؤه. وفي الوقت نفسه، أمامنا تباين عجيب بين هذا **والعشاء الأخير**. جلس شاول إلى وليمة بصحبة زُمرة صغيرة من أتباعه في الليلة السابقة لمقتله، كما جلس يسوع لاحقًا مع تلاميذه. فمعًا كسروا خبزاً وأكلوا. وهنا أصبحت فكرة التشابه واضحة. إن شاول مثال للمسيح، أو هو بالحقيقة مثال لضد المسيح. هذه الليلة من حياته تستبِق، على النقيض، الليلة التي كسر فيها يسوع خبزاً مع تلاميذه، والتي سبقت اليوم الذي قُتل فيه كفِدية «عن كثيرين». قد يشير البعض إلى وجود صلة رمزية بين شاول والمسيح. وقد يختلف آخرون قائلين إنه يوجد موضوع أساسي أو رمز للفصح هنا. كيفما صنفت التشابهات هنا فإن الربط بين الحالتين يعمّق فهمنا بقوة لـ (صموئيل الأول ٢٨) وكيف انعكس في ذبيحة يسوع المسيح المجيدة.

مع توفر هذه الأدوات في أيدينا، أرجو أن ترى مدى وقوة تأثير اللاهوت الكتابي في الوعظ بالمسيح في كل الكتاب المقدس. تذكَّر أن هناك ثلاثة أشياء مهمة عليك أن تعملها حتى تستخدم اللاهوت

الكتابي: **أولًا**، احصل على اللاهوت الكتابي لتستخدمه كأساس. **ثانيًا**، كلما استطعت، استرشد بالعهد الجديد عند تفسير نصوص العهد القديم. **وثالثًا**، استخدم هذه الأدوات الأربع لاكتشاف الارتباطات المناسبة لهذه النصوص بالإنجيل.

دور اللاهوت النظامي

يُعد اللاهوت الكتابي نقطة انطلاق رائعة للتفكير اللاهوتي. وإن نمَّيْتَ مهاراتك اللاهوتية الكتابية في الوعظ من خلال قدر وافر من الخبرة، تكون بذلك قد قطعت معظم الطريق عبر هذه المرحلة من تحضير العظة. في الوقت نفسه، يلعب فرع آخر من فروع اللاهوت دوراً في التفكير اللاهوتي في النص، وهو اللاهوت النظامي.

إذا ساعدك اللاهوت الكتابي على إدراك الكشف التدريجي لخطة الله للفداء في المسيح ، فاللاهوت النظامي يساعدك على تركيب وإنشاء كل شيء يقوله الكتاب المقدس في شكل عقائد. إنه يُنظِّم الكتاب المقدس منطقيًّا وبتسلسل، وليس تاريخيًّا أو زمنيًّا (كما في حال اللاهوت الكتابي). يُعرِّف دونالد آرثر كارسون اللاهوت النظامي بصفته «فرع من فروع علم اللاهوت الذي يسعى إلى دراسة كل الكتاب المقدس وأجزاءه المختلفة دراسة متعمقة، مبيِّنًا الارتباطات المنطقية فيما بينها (وليس فقط التاريخية)».[٢٩]

29. D. A. Carson, "Unity and Diversity in the New Testament: the Possibility of Systematic Theology," in Scripture and Truth, ed. D. A. Carson and John D. Woodbridge (Grand Rapids, MI: Baker, 1983), 69-70.

في الوقت نفســـه، أعتقد أنه يلزم الحذر؛ فمع أني أدافع عن الدور النظامـــي في الوعظ، فإنه يوجد فرق بينـــه، وبين أنظمة التعليم. عبَّر سيمون عن هذه الفكرة على النحو التالي: «لم يعلن الله حقه في نظام؛ فالكتـــاب المقدس ليس له نظام بحد ذاته». ونتيجة هذه القناعة، إذن، بسيطة: «ضع أي نظام جانبًا وأسرع إلى الكتاب المقدس؛ اقبل كلماته بخضوع بســـيط، ودون التركيز على نظام بعينه. كن مســـيحيًّا كتابيًّا، وليس مسيحيًّا نظاميًّا».[٣٠] إن سيمون على حق. يجب ألا نكون وعاظًا بنظام معين. مع ذلك يوجد ثلاث فوائد عملية لدمج اللاهوت النظامي داخل تفكيرك في الجانب اللاهوتي للنص.

١. يحفظك في الإيمان.

٢. يساعدك على ربط نصوص أنواع أدبية معينة برسالة الإنجيل.

٣. يُعَزِّز قدرتك على التحدث إلى غير المؤمنين.

١- يحفظك في الإيمان

من الفوائـــد الكبرى للتفكير في اللاهـــوت النظامي أثناء تحضير عظتك، أنـــه يضع إلزامًا يحفظك في ســـلامة المعتقـــد. عندما تقوم

٣٠- هذان الاقتباسان مصدرهما هو تعليقات أ. و. براون على الأوقات التي قضاها مع تشارلز سيمون كجزء من محادثاته مع طلاب جامعة كامبردج.» Abner William Brown, Recollections of the Conversation Parties of the Rev.Charles Simeon, M.A: Senior Fellow of King's College, and Perpetual Curate of Trinity Church, Cambridge (London: Hamilton, Adams, & Co, 1863), 269.

بالتفسير، ستقابل بلا محال نصوص صعبة، تضطرك إلى اتخاذ خيارات تفسيرية صعبة. ولأن لا أحد منا كامل، فمن المتوقع أن نرتكب أخطاء. حين تبدأ في أن تصارع مع هذه الاستنتاجات الصعبة بخصوص نصِّك الكتابي، ستكون العقيدة السليمة هي مرشدك.

قد يقودك التفسير السطحي (ليعقوب ٢: ١٤ – ٢٦) على سبيل المثال إلى استنتاج أن يعقوب يقلل من شأن عقيدة بولس "الخلاص بالإيمان وحده". ومن خلال إخضاع عملك في هذا النص للتفكير اللاهوتي النظامي، سيتحتم عليك أن تصارع مع "كيف أوضح بولس في كلامه أن الخلاص يعمل **مع** وليس **ضد** ما يقوله يعقوب." وحتى لو لم تُحل كل مشكلاتك، فعلى الأقل ستصارع مع "كيف يساعد الكتاب المقدس في تفسير نفسه" بدلًا من أن – عن غير قصد – تفاضل بين الأسفار المقدسة والأسفار المقدسة، مُنكِراً الفهم القويم لعِصمة الكتاب المقدس وخلوه من الخطأ.

٢- يساعدك على ربط نصوص أنواع أدبية معينة برسالة الإنجيل

في الواقع أحيانًا يكون استخدام اللاهوت الكتابي في تفسير أنواع أدبية معينة أكثر صعوبة. ترتبط طبيعة اللاهوت الكتابي – القصة الكبرى – جيدًا بالأنواع الأدبية التي تكون فيها الرواية هي الشكل الرئيسي للنص. في الوقت نفسه، قد لا يعطيك شِعر العهد القديم بابًا شرعيًّا للدخول إلى قصة الكتاب المقدس الكبيرة بالطريقة التي تتمناها.

قد يكون من الصعب ربط رسائل العهد الجديد، التي تحتوي على حُجج وبراهين، منطقية، من خلال اللاهوت الكتابي.

غير أن الأنواع الأدبية التي يغلب على محتواها الخطاب أو الشِّعر، قد تكون أكثر سهولة في ربطها بالإنجيل عبر اللاهوت النظامي. تميل هذه الأنواع الأدبية إلى تناول مفاهيم أساسية، مثل الإيمان، والنعمة، والتبرير، والخطية، وما شابه بالمزيد من التكرار. لذلك، حين يثير المزمور فكرة مثل التوبة عن الخطية، أو يتكلم بولس عن الإيمان والأعمال، يتوفر أمامنا باب شرعي إلى المفهوم اللاهوتي للإنجيل.

٣- يُعَزِّز قدرتك على التحدث إلى غير المؤمنين.

أظن أن معظم غير المؤمنين الذين يدخلون كنائسنا لا يشبهون الخَصِيّ الحبشي، الذي كانت لديه رغبة قوية وصادقة لفهم سفر إشعياء. وأكاد أُجزم أن الأكثر احتمالًا أنهم يطرحون أسئلة عن مشكلة الشر، والله، والإثم، والفداء، وما شابه. تتبَع الإجابة عن هذه الأسئلة من مفاهيم وعقائد اللاهوت النظامي. وبالتالي، قد يكون ربط النص باللاهوت النظامي في عظتك أفضل طريقة لجذب غير المؤمن إلى كلمة الله. لنفترض، على سبيل المثال، أن غير المؤمن يستمع لعظتك ولديه أسئلة حول فكرة «الخطية» في نصِّك الكتابي. من الطرق النافعة للتعليم عن الخطية هي النظر إلى هذه العقيدة في اللاهوت النظامي وإدراك أنه يوجد ثلاث استعارات رئيسية للخطية: الحِمل،

والدَّيْن، والدَّنَس. وبالتالي، مع أن المستمع لك قد لا يكون قد فهم فكرة «الخطيـــة» كما هي في النص الكتابـــي المحدد، يمكنك أن تدمج في عظتك العقيدة الأوسع للخطية على نحو يساعده على الفهم.

خطوة أخرى

قطعنا شوطًا كبيراً في هذا الفصل، وأرجو أن تكون قد أدركتَ قيمة عدم القفز من التفسير إلى التطبيق مباشرة، أو حتى التوقف عند مجرد التفسير. وأرجو، بدلًا من ذلك، أن تكون قد رأيتَ قيمة أن تصرف وقتًا في التأمُّل بشـــأن كيف تقودك فكرة النص إلى بشارة الإنجيل. إن الفهم الصحيح للمنهج التاريخي – النقدي وأدوات اللاهوت الكتابي واللاهوت النظامي، سيقودك إلى الأمام في تحضيرك للعظة.

لكننـــا بالتأكيد، لم ننتهِ بعد؛ فتحديـــات **اليوم** ومطالبه، لا تزال تنتظرنا.

٤

اليـــــوم

تأخذنا المرحلة الأخيرة من تحضير العظة إلى **اليوم**. وصلنا أخيراً إلى الوقت الحاضر. وتقع خلفنا تلال النص القديم والعمل التفسـيري الـذي قمنا به حول "هُـم وحينئذ". وخلفنا أيضًـا التفكير اللاهوتي، مع كل ما يصاحبه من تشـديد على ملء الزمان في المسـيح يسوع، وموتـه، وقيامته. وتقع أمامنا مباشـرة غايتنـا: **اليوم**. نحن والآن أي الكنيسة، شـعب الله، وأولئك الذين بواسطة الوعظ بالكلمة سيصيرون ملكه (شعبه).

حتـى هذه النقطة في رحلتنا قمنا بتنحيـة المواءمة الثقافية جانبًا، وفعَلْنا هذا لميلها إلى الهيمنة على عملنا، فتكون النتيجة ما أطلقنا عليه مشكلة **التمسك الأعمى**. ولكن بعد أن أتممنا العمل التفسيري والكتابي، صرنا جاهزين للسـماح للمواءمة الثقافية بـأن تأخذ مكانها الضروري المسـتحق في العظة. مع أن كل خدمة سـليمة من خدمات الإنجيل يوجههـا النص الكتابي، يجب أن تكون مـزوَّدة بالمعلومات الخاصة بثقافة المسـتمعين. ينبغي أن تُعْلِمنا المؤاءمة الثقافية كيف نعظ بكلمة

الله اليوم من خلال أربعة خطوط:

١. تركيبة الجمهور
٢. تنظيم مادة العظة
٣. إقامة الحُجة
٤. تطبيق العظة

قــد يكون من المفيد أن تفكر في هذه المرحلة النهائية بأنها مرحلة **توليف العناصر معًا**. تشــتق كلمة توليــف «synthesis» من اليونانية القديمة، وتتضمن فكرة وضع عنصرين أو أكثر من العناصر المختلفة معًا بطرق تكوِّن وحدة كاملة جديدة ومترابطة.

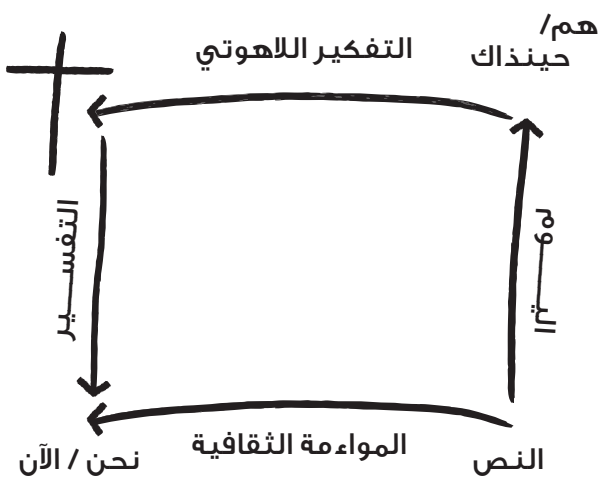

يجِد العديد من الوعاظ الشـــباب هذه الخطـــوة الأخيرة من الرحلة، صعبة. إذ أنهم غيـــر متأكدين من كيفية الإبحار فيها، أو على الأقل كيفية الإبحـــار جيدًا. قد يتناولون أجزاء مختلفـــة بمعزل عن الأجزاء الأخرى، وبعضهم سيســـتطيع بالتأكيـــد أن يُكمل المهام التي تقتضيها عملية التفسير. بينما يتبنى آخرون خُططًا للقراءة تقودهم إلى التفكير في الجانب اللاهوتي للنص. ولكن إن ســـألتَهم عن كيفية تركيب عنصرين أو أكثـــر من هذه العناصر بطريقة تخلق عظة مترابطة صالحة **لليوم**، لا تجد منهم إجابة.

مع ذلك، لا بد مـــن إجراء التوليف. والمفسِّـــرون الكتابيون الذين يجيدون توليف العناصر معًا، يعملون ذلك، جزئيًّا، بســـبب اهتمامهم بتقديم العظة في السياق الثقافي **الملائم للجمهور**، **وترتيب مادة العظة**، و**التطبيق**.

١- تركيبة الجمهور

بالمعنى الأوسع، يجب دائمًا أن تتجنب محاولاتنا لملاءمة العظة مع ســـياق الجمهور وثقافته، الوقوع في أحد الخطأين. من ناحية، لو كان وعظنا يعارض الثقافة دائمًا، ســـيرفض العالم الرسالة التي نقدمها حتـــى قبل أن تتاح لنا فرصة تقديم المســـيح. ومـــن ناحية أخرى، لو أصبحت رسالتنا موءامة للعالم (أو جعلنا أسلوب حياتنا مشابهًا للعالم)، ســـنفقد الأساس نفســـه الذي يجعلنا نافعين لاســـتخدام الله لنا. تتمثل

مهمتنا في أن نجد طريقة نوصِّل بها رسالة الله التي لا تتغير إلى عالم لا يعرف الكتاب المقدس جيدًا.. عالم متحيِّر بشأن الله، ومشوَّش في معرفته اللاهوتية.

مع أنه من الجيد الدفاع عن العمل التفسيري واللاهوتي، فإن المفسرين الجيدين لا يغيب عن أنظارهم البتة حقيقة أن فروع المعرفة تلك قد وُجِدت لخدمة الناس. أشعر بالاستياء من عقلية بعض الوعاظ التي تظن أن جماعة المؤمنين موجودة لتخدمهم في ممارسة خدمة الكلمة. ينبغي للوعاظ الشبان خصوصًا أن يحذروا من هذا الإغواء نحو تأسيس خدمة أنانية، لا تفكر إلا في ما لنفسها.

طوال الخمس عشرة سنة الماضية حَظِيَت كنيستنا بامتياز تدريب أكثر من سبعين متدربًا، من الشباب والشابات المقبلين على التفرغ للخدمة المسيحية أيًّا كان نوعها. وكنت معتادًا أن أُذكِّرهم بين الحين والآخر بأن: **الناس هم بيت القصيد!** وإن كان أولئك الذين يرغبون على وجه الخصوص في الوعظ بكلمة الله ليس لهم محبة للناس في العالم، فإنه لا يجب السماح لهم بالصعود إلى منابر الوعظ بانتظام.

لذلك، إن صِرتَ مفسِّراً للكتاب المقدس، فاعلم أن أحد شروط الوعظ هو تحلي الواعظ بعاطفة متزايدة وتَقِيَّة نحو الناس. تعلَّم أن تعرف المستمعين الذين منحهم الله لك وتحبهم. أليس هذا هو الدرس الذي غرسه يسوع في بطرس قبل أن يطلقه للخدمة بالإنجيل في العالم؟! في

(يوحنا ٢١)، ظهر يســـوع للمرة الثالثة لبطرس والتلاميذ الآخرين على شـــاطئ بحر الجليل. وسأله يسوع ثلاث مرات: «بطرس، أتحبني أكثر مـــن هؤلاء؟» وثلاث مرات، أجاب بطرس، المرشَّـــح أن يكون واعظًا قريبًا، بشعور من الإحباط المتزايد: «نَعَمْ يَا رَبُّ أَنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي أُحِبُّكَ.» فقال له يسوع: «ارْعَ خرافي... ارْعَ غنمي». الفكرة التي أراد يسوع نقلها واضحة: الذين يفرزهم للكرازة بالإنجيل هم أولئك الذين يبرهنون محبتهم له من خلال محبتهم لكنيسته!

لهذا أقول لكل من يرغب منكم أن يعظ عن المســـيح: «هل تحب يسوع؟ هل تحبه حقًّا؟ إذن، برهن على حبك له بإطعامك ورعايتك للذين مات من أجلهم. تعلَّم أن تحب الناس».

الكنيســـة

الجمهور الرئيســـي الذي يســـتمع للوعظ الذي يفسر كلمة الله هو الكنيسة، شعب الله. ودائمًا ما يكون المفسِّرون الكتابيون الأمناء واعين لهذه الحقيقة. إنهم يجتهدون في تفســـير كلمة الحق بدقة وعناية كبيرة لأنهم يعرفون أن الكلمة التي ينادون بها تُخلِّص الكنيسة وتُشَدِّدها.

أرســـلَ الله كلمته لشعبه في جنة عدن، وأنزَلَ كلمته مرة أخرى على جبل ســـيناء، وهذه المرة نقشها على لوحين حجريين حتى يعرفَ شعبه المخلَّص حديثًا اللهَ الرؤوف في كل طرقه. ولما أرسلَ يسوعَ، كلمة الله

عينها، فعل ذلك حتى يجمع شـــعبه إلى نفسه. وفي يوم الخمسين كان الشـــيء نفسه. إن جماعة القديسين الأوائل، الذين كانوا يواظبون على تعليم الرسل، قد آمنوا عن طريق الكرازة بكلمة الله.

ببســـاطة، كل مفسِّري الكتاب المقدس الأمناء الذين أعرفهم، لديهم قناعة راسخة بأن **كلمة الله** تخلق شعب الله وتغذيه، أي كنيسة الله.

كيف ســـتؤثر معرفتك لهذه الحقيقة علـــى وعظك **اليوم؟** يجب أن يدرك المفســـرون خصوصًا، وبقوة، حاجتهم للتقابل مع الله؛ فهو وحده القادر على إنجاز تلك المهمة الهائلة الموضوعة عليهم. ينبغي لنا أن نُحضِرَ كل عملية تحضير العظة أمام الله في الصلاة. ومن الخطأ أن يظن أحد أن الوعـــظ يمكن القيام به بمعزل عن الصلاة، وكأن العمل العظيم والمجيد الذي عمله الله المتعلق باهتداء كنيسته وتأسيسها متوقفًا علينـــا. يجب علينا نحن الوعاظ أن نكون مصلِّين. هذه وحدها إشـــارة أكيدة إلى أننا فهمنا لكيف تكوَّنت الكنيســـة وازدهرت في العالم. وهذا يدفعنا نحن المفســـرين إلى تحضير العظـــات ونحن راكعين في روح الصلاة، مثلما نحضّرها ونحن جالسين أيضًا في مكاتبنا للدراسة. نحن نعلـــم من خبرتنا معنى أن نضع جباهنا إلى الأرض متوســـلين لله أن ينجـــز هو العمل الذي لا تقدر علـــى إنجازه أفضل جهودنا في الوعظ مهما حاولنا.

باختصـــارٍ، نحن في حاجة شـــديدة إلى قوة الـــروح القدس لتُلازِم وعظنـــا. ولهذا نصلي. نصلي قبـــل أن نعظ. نصلي في أثناء وعظنا. ونصلي أيضًا بعد أن ننتهي من الوعظ.

المدينـــــة

كُتِبَ الكثير في السنوات الأخيرة عن مكان تواجد جمهور المستمعين. ولا يلزم أن أزيد كثيراً على هذا. يكفي أن أقول إننا نقترب بســـرعة من نقطة في تاريخ البشرية حين ســـيكون نصف سكان العالم في المدن. وعلى المفسِّـــرين الكتابيين ألا يجهلوا هذه الحقيقة، بل يجب أن يتأثر وعظُنا بمعرفتنا لهذه الحقيقة.

على المرء ألا يستسلم لتلك الفكرة البلهاء بأن الله يحب الساكنين في المدن أكثر من غيرهم. نحتاج ببســـاطة إلى إدراك التحديات والفرص التـــي تقتضيها الحياة في المدينة؛ حيث تكون جماعات المؤمنين التي يعـــظ لها الكثير منا بطبيعة الحـــال، أكثر تنوعًا في خلفيتها، كما أنها مليئـــة بالرؤى المختلفة للعالم والحياة والتي يمكن أن تكون ســـببًا في اهتيـــاج لا لزوم له، مـــا لم نكن حريصين في كلماتنا. ينبغي أن نضع فـــي الاعتبار الجمهورَ الأكثر تنوعًا عند الوعظ، مما يعني أننا ينبغي أن نكون مســـتعدين للتخلي عن تعبيراتنا الدارجة، ونكاتنا المألوفة في ثقافتنا الفرعية الخاصة. ليس من الطبيعي أن تخاطِبَ أعضاء مجلس المدينة بالقصص نفســـها التي تحكيهـــا لصديقك المقرب على الغداء.

إنها مسألة إعادة توجيه نطاق عملنا. ينبغي أن نعظَ كما لو أننا نسعى أن يفهمنا البشـــر بدقة من جهات الأرض الأربع، وفي حالات كثيرة، سيكون هؤلاء هم الذين يمكنهم سماعنا.

فيما يستمر الله في جمع جماعات المؤمنين المتنوعة بتزايد، أثبتت استراتيجيتان للوعظ أنهما مفيدتان:

- استراتيجية العلاقات بين الأشخاص
- الاستراتيجية الموحِّدة

يعـــدُّ خطاب بولس في أثينا مفيدًا لكل من هاتين الاســـتراتيجيتين: أولًا، من ناحية **العلاقة بين الأشـــخاص**، يُصرِّح لوقا بأن بولس حاجج الأثينيـــن وتناقش معهم، في المجمع وفي الســـوق. بعبارة أخرى، لم تكـــن كرازته بالإنجيل أحادية البُعد. ينبغي ألا نفكر في أن بولس كان يقف خلف مِنبر مرة في الأســـبوع ليقـــدم «مونولوجًا» أو حديثًا فرديًّا. بل بالأحرى اســـتخدم بولس مجموعة منوعة من الاســـتراتيجيات التي تقوم على العلاقة بين الأشخاص. وفي السوق كان ينخرط في أسلوب الحـــوار. ينبغي علينا نحن أيضًا أن نبحث عـــن طرق وأماكن لتقليد استراتيجية بولس في التحاور بين الأشخاص في المدن اليوم.

شيء آخر يتعلق باســـتراتيجية العلاقات بين الأشخاص: يبدو أن بولس لم يتعجل الكلام بل انتظر حتى تتاح له الفرصة ليكلِّم أشخاصًا

من أصحاب النفوذ، على الأقل في (أعمال ١٧). ويُســـجِّل لوقا أنهم «أَخَذُوهُ وَذَهَبُوا بِهِ إِلَى أَرِيُوسَ بَاغُوسَ، قَائِلِينَ: «هَلْ يُمْكِنُنَا أَنْ نَعْرِفَ مَا هُوَ هذَا التَّعْلِيمُ الْجَدِيدُ الَّذِي تَتَكَلَّمُ بِهِ؟» (١٧: ١٩). إن جملة «فأخذوه» خبرية؛ إذ يبدو أن بولس لم يكن جســـوراً، بمعنى أنه لم يفرض نفســـه على مركز المجتمع الأثيني. ولم يطالب صفوة القوم بأن يستمعوا إليه، بـــل ذهب إلى محطتيه المعتادتين ليعظ: المجمع، والســـوق (ع١٧). كانت عظته في أريوس باغوس بنـــاء على طلب الجمهور. وبالتأكيد يجب علينا أن نتحلى بالجرأة، غير أن المدينة تطالبنا باحترامها.

ثانيًا، تقتضي الأهمية المتزايدة للمدن العمل **بالاستراتيجية الموحِّدة.** على عكس الاســـتراتيجية التي تهاجم عـــادات المجتمع ومعتقداته أو الاستراتيجية المجزئة، تجمع الاستراتيجية الموحدة القيم الثقافية والعظة المســـيحية بطرق تخدم كرازتنا بالإنجيل. شـــرح (الإصحاح١٧) من أعمال الرســـل ذلك، حيث برأ لوقا بفعاليـــة بولس من أي اتهام باطل بالغيرة الأصولية. ويوصف بولس بأنه شعر باستفزاز واجب من رؤيته لأوثـــان الأثينيين، غير أنه لم يرغب في إســـقاطها في الشـــوارع. في الواقع، وضـــح لوقا أن بولس فعل العكس تمامًا، باســـتغلاله للأوثان كميزة وكمدخل دفاعي: «فَوَقَفَ بُولُسُ فِي وَسَطِ أَرِيُوسَ بَاغُوسَ وَقَالَ: «أَيُّهَا الرِّجَالُ الأَثِينِيُّـــونَ أَرَاكُمْ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ كَأَنَّكُمْ مُتَدَيِّنُونَ كَثِيراً لأَنَّنِي بَيْنَمَا كُنْـــتُ أَجْتَازُ وَأَنْظُرُ إِلَى مَعْبُودَاتِكُمْ وَجَـــدْتُ أَيْضًا مَذْبَحًا مَكْتُوبًا

عَلَيْهِ: «لإِلَـــهٍ مَجْهُولٍ.» فَالَّذِي تَتَّقُونَهُ وَأَنْتُمْ تَجْهَلُونَهُ هَذَا أَنَا أُنَادِي لَكُمْ بِهِ» (أع٢٢، ٢٣). بافتتاحه لهذه العظة بعبارة «الإله المجهول»، لعب بولس على الأحاسيس الفكرية لمستمعيه المثقفين. وفي النهاية، سيتفق معظـــم العلماء على الأقل على حقيقة أن الكثير من الأشـــياء لا يزال مجهولًا وأن المصطلح الذي استخدمه بولس في (أعمال ١٧: ٢٣) هو صيغة لكلمة **اللاأدرية**. وبحسب تعبير كرنيليوس فان تيل: «حتى بين المثقفين، من الذكاء الإقرار بحقيقة أنه يوجد في السماء وعلى الأرض أكثر مما يحلمون به في فلسفتهم... فقد كانوا مستعدين تمامًا أن يتركوا المجال مفتوحًا للمجهـــول».[٣١] وبالتالي، كان افتتاحه العظة على هذا النحو، خطوة عبقرية.

هل يمكنك أن تتخيل كيف يمكن أن تُقرأ هذه القصة قراءة مختلفة لو كان بولس قد قرَّر أن يســـتخدم استراتيجية تهاجم قيم المجتمع في أثينا وليس الاستراتيجية الموحِّدة؟ لو كان بولس قد تناول مطرقة ثقيلة وكسر أوثانهـــم، أو قاد حملة مقاطعة لاحتفالاتهم الدينية، أو علق شـــعارات مناهضة «للطريقـــة الأثينية» على لوحة إعلانـــات عالية في مدخل المدينـــة، لكان ذلك بالتأكيد قد جعل عظتـــه مفهومة وواضحة. ولكن ربما سببت هذه الطريقة ضرراً بالغًا بالإنجيل. قد تنجح الاستراتيجيات

31. Cornelius Van Til, Paul at Athens (Phillipsburg, NJ: P&R, 1978), 6.

الطنانة فـــي تخليص العالم من أوثانه أو رموزه الدينية الخارجية، لكن كلما انتهج المســـيحيون مثل هذه الاستراتيجيات، فشلوا في ربح عقول وقلوب أولئك الذين يعيشون وسط الأوثان.

نعم، الكثيرون اليوم ســـيُدعَون للوعظ في مدن كبيرة، ومثل هؤلاء الوعاظ يجدر بهم أن يتبنوا اســـتراتيجيات العلاقات بين الأشـــخاص والموحِّدة التي ساعدت على ربح المدن في الماضي.

الفرد وثقافته

إن معرفة مكان تواجد جمهورنا شيء، لكن معرفة من هو جمهورنا والقيم والعادات التي تُميِّزه شـــيء آخر مختلف كثيراً. يعج العالم اليوم بأنـــاس لا يعرفون الكتاب المقدس، ولا أحد منا ينبغي أن يرضى يومًا بأن يعظ إلا والبعض منهم حاضر. يجب أن يحرص الوعاظ بالإنجيل بشـــدة على أن يكون ضمن جمهورهم أناسًـــا غير مؤمنين، أناسًا من الذين **في** العالـــم، إذ أن غير المؤمنين يُعتبرون جمهوراً محوريًّا لكلمة الله. وإن كنا نرغب في أن تصل رســـالتنا إلـــى جمهور اليوم، نحتاج أن نعطي اهتمامًا واجبًا لســـياقهم الثقافي. وســـنحتاج إلى التكلم بلغة مفهومة لثقافتهم. ولحســـن الحظ، يوجد قدر وافر من الكتب والمقالات التـــي تعالج هذا الاحتيـــاج. لا يوجد ما أســـتطيع أن أضيفَه، إلا أن أُحذِّر المفســـرين الكتابيين الأمناء لكي يحرصوا على معرفة حدود هذا

النوع من تحضير العظات. إن النجاح في مواءمة العظة جيدًا لسياق المستمعين لا يعني بالضرورة أن وعظنا سيُفهم بسهولة، ناهيك عن أننا بالضرورة سنغير الثقافة.

أكرر، لا نحتاج إلى النظر لأبعد من خطاب بولس للأثينيين في (أعمال ١٧: ١٦ – ٣٤) لنرى أن هذه هي الحال. فمع أن بولس بذل أفضل ما لديه لمواءمة عظته لسياق مستمعيه وثقافتهم (كما ينبغي أن نفعل نحن أيضًا)، يرى لوقا أن هذا العمل الجيد والضروري له تأثير محدود. عبَّر أحد الأثينيين عن تجاوبه مع وعظ بولس بالإنجيل بقوله: «تُرَى مَاذَا يُرِيدُ هَذَا الْمِهْذَارُ أَنْ يَقُولَ؟» (١٧: ١٨). والكلمة المترجمة **لمهذار** معناها نقَّار البذور أو نابش القمامة، وكأن بولس يلتقط فكرة ما من هنا وأخرى من هناك فتكون النتائج غير مترابطة. هذا هو نوع التجاوب الذي يدَّعي المتمسكون بالمواءمة الثقافية تمسُّكًا أعمى أنهم يتغلبون عليه.

لا تدع رواية لوقا تُربكك: إن بولس، الذي قدَّم لنا نموذجًا لمواءمة العظة لثقافة المستمعين، صار موضع سخرية البعض لتقديمه عظة بلا محور يوحِّدها، وبالتالي، لم يكن لها القُدرة على استمالة الرأي العام (انظر أعمال ١٧: ٣٢). كانت إحدى ردود الفعل الأخرى على عظة بولس: «إِنَّهُ يَظْهَرُ مُنَادِيًا بِآلِهَةٍ غَرِيبَةٍ، لأَنَّهُ كَانَ يُبَشِّرُهُمْ بِيَسُوعَ وَالْقِيَامَةِ». (أع١٨). تشير عبارة «آلهة غريبة» إلى أن جزءًا من مشكلة

الأثينيين كان يتعلق بفهم المعنى الذي يقصده بولس. ففي جوهر الأمر، لما سمع الأثينيون الإنجيل أول مرة، ظنوه غريبًا، وغير مألوف، وغريبًا على هيكل مجمع آلهتهم اليوم.

إن هدفي من إثارة الانتباه إلى اثنين من ردود الفعل على عظة بولس، هو قول: «نعم، اجتهِد في فهم الناس اليوم وثقافتهم، لكن لا تظن أن المفسرين الكتابيين الجيدين سيكونون دومًا مفهومين أو مقنِعين للناس اليوم».

أخيراً، أريد أن أُذكِّر بحاجتنا ليس فقط للصلاة، بل أيضًا لقوة الروح القدس التي تلازم كل وعظنا. وهذا بالتأكيد هو الاحتياج الأعظم؛ إذ يجب على الوعاظ أن يعرفوا المصدر الحقيقي للقوة. إن الدور الذي يلعبه الروح القدس في ميلاد الكنائس بكلمة الله لا غنى عنه. لا تأتي الحياة الحقيقية والتغيير الحقيقي في مستمعينا من براعتنا، بل من كلمة الروح (يوحنا ٦: ٦٣)، التي يُنطَق بها صراحة على فم واعظ شاخص إلى الله.

إذن ليت قناعتنا نحن الوعاظ ومفسري كلمة الله، تكون رفض كل ادعاء وكل مظهر خادع، وكل عادات أَلِفْناها في الوعظ، وكل شيء يوحي بأن القوة فينا وليست في الروح والكلمة. يتطلب الوعظ تواضعًا. علينا التخلص من كل اهتمام مفرط وغير ضروري بالبراعة الفنية أو

الشـــكل. دعونا نتنازل عن طلب الشـــهرة، ونوال استحسان الجمهور، وشِراك الطمع الخادعة.

«لأَنَّ وَعْظَنَا لَيْسَ عَــنْ ضَلاَلٍ، وَلاَ عَنْ دَنَسٍ، وَلاَ بِمَكْرٍ، بَلْ كَمَا اسْتُحْسِــنَّا مِــنَ اللهِ أَنْ نُؤْتَمَنَ عَلَى الإِنْجِيلِ هَكَــذَا نَتَكَلَّمُ، لاَ كَأَنَّنَا نُرْضِي النَّاسَ بَلِ اللهَ الَّذِي يَخْتَبِرُ قُلُوبَنَا. فَإِنَّنَا لَمْ نَكُنْ قَطُّ فِي كَلاَمِ تَمَلُّقٍ كَمَا تَعْلَمُونَ، وَلاَ فِي عِلَّةِ طَمَعٍ. اللهُ شَاهِدٌ. وَلاَ طَلَبْنَا مَجْدًا مِنَ النَّــاسِ، لاَ مِنْكُمْ وَلاَ مِنْ غَيْرِكُمْ مَعَ أَنَّنَا قَادِرُونَ أَنْ نَكُونَ فِي وَقَارٍ كَرُسُلِ الْمَسِيحِ». (١تسالونيكي ٢: ٣ – ٦)

٢- ترتيب مادة العظة

يواجه الواعظ تحدٍّ مماثل كل أسبوع: «كيف ينبغي أن أرتِّب المادة التي أنوي تقديمها في العظة؟ ما نوع التنظيم الذي يجب أن أســتخدمه فيها؟» هٰذان السؤالان جيدان وجديرَان بأن نجيب عنهما.

حالما فسَّــرتَ النص وفكَّرتَ في جوانبه اللاهوتية، ســيتوفر لديك حصاد غني بالمواد المفيدة لتقولها، ويحق لك أن تكافئ مستمعيك بثمرة جهــدك الذي بذلتَه. بِناء على ذلك، مــا المبدأ الذي يجب أن يحكمنا في عملية ترتيب مادة العظة؟ وما الدور الإيجابي الذي ســيتعين على المواءمــة الثقافية أن تلعبه؟ أعتقد أنك بحاجة إلى تحضير العظة من خلال خطَّيْن متوازيين:

- الحاجة إلى الوضوح
- فوائد التزام العظة بالنص الكتابي

تعتمد النقطة الأولى على مواءمة العظة لثقافة المستمعين، في حين تتمسَّك النقطة الثانية بالنص الكتابي بقوة.

الحاجة إلى الوضوح

منذ سنتين، جلســـت مع "ديك لوكاس" في غرفة معيشته في لندن بإنجلترا. وتحول حديثنا بعفوية إلى ما كان الله يعمله في الكنيسة. وكنا متحمِّســـيْن ويملؤنا الرجاء في الجيل الجديد الواعد من الوعاظ. ووسط هذه المحادثة المتفائلة، قـــال "لوكاس" مقاطعًا: «نعم، ولكن علينا أن نُذكِّرهـــم بأن وعظنا لا ينبغي أن يكون مفرطًا في البســـاطة». بعد أن وعظ لوكاس لما يقرب من خمسين عامًا لرجال الأعمال الذين يعملون في الحي المالي بلندن، تعلَّم شـــيئًا مهمًـــا للغاية: العظماء هم الأكثر وضوحًا، ولا يجب أن يكون الوعاظ مفرطين في البساطة؛ نحن **بحاجة إلى الوضوح**.

لاحظت الشـــيء نفســـه. مع أننا لدينا جيل من الوعاظ الناشئين، المتحمسين، وقد بدأوا يحتلون موقعًا في المشهد اليوم، لا يزال الكثيرون بحاجة إلـــى تعلم فن ترتيب مادة العظة بطريقة واضحة وموجزة. وهنا يمكن للمواءمة الثقافية أن تلعب دوراً رائعًا.

يُدرك الوعاظ التفسيريون أن الذين يخاطبونهم كل أسبوع ليسوا، بشكل عام، متحمسين كثيراً لكل تلك الفوارق التفسيرية الدقيقة، وتلك المعضلات النصِّية التي برع الواعظ في حلها خلال الأسبوع. عبَّر صديق لي وهو رجل أعمال تقيّ عن هذه الفكرة على النحو التالي: «ديفيد، ما الوجبة الجاهزة لهذا الأسبوع؟ لا تعظني طوال نصف ساعة بطريقة عَرَضية دون أن توضِّح لي فكرتك. أريد عناوين واضحة ومرتَّبة وكلام مباشر».

الواعظ المثمر هو ذلك الذي يعرف ميادين القتال حيث يخوض جمهوره معاركهم الحياتية والمهنية. إنه يعرف احتياجاتهم ويتكلم لغتهم. ويعظ بارتياح للمؤمن وغير المؤمن على حد سواء، حتى إن صرف جزءًا كبيراً من أسبوعه المشحون يدرس وحده في مكتبه بالكنيسة.

بينما تبدأ عمل المواءمة السياقية الذي يتضمن ترتيب مادتك، اجتهد في التحضير لتجعل عظتك واضحة. وانتبه جيدًا إلى الكلمات التي تستخدمها والطريقة التي توصِّل بها الأفكار. وكن راضيًا إن أوصلتَ فكرة أمجاد المسيح واضحة فقط لمن جاءوا ليسمعوا. كما حث بولس قراء رسالته: «وَاظِبُوا عَلَى الصَّلاَةِ سَاهِرِينَ فِيهَا بِالشُّكْرِ، مُصَلِّينَ فِي ذَلِكَ لأَجْلِنَا نَحْنُ ايْضًا، لِيَفْتَحَ الرَّبُّ لَنَا بَابًا لِلْكَلاَمِ، لِنَتَكَلَّمَ بِسِرِّ الْمَسِيحِ، الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ أَنَا مُوثَقٌ أَيْضًا، كَيْ أُظْهِرَهُ كَمَا يَجِبُ أَنْ أَتَكَلَّمَ» (كولوسِّي ٤: ٢-٤).

خطوتان عمليتان مفيدتان للوضوح:

- صرِّح بالموضوع الرئيسي للنص
- عبِّر بوضوح عن هدف الكاتب

ينبغـــي ألا يصعد الوعاظ التفســـيريون إلى المنابر ليقدموا عظاتهم قبـــل أن يكونوا قادريـــن على توضيح الموضوع الرئيســـي للنص في جملة واحدة مترابطة. ويُعد الموضوع الرئيســـي هـــو الفكرة الكبيرة أو المسألة السائدة في النص. إنه الفكرة التي يريد الكاتب أن ينقلها. على سبيل المثال، بدأتُ مؤخَّراً عظة من رسالة (يعقوب ٤: ١-١٢) بعبارة بســـيطة: «القضية التي يريدنا يعقوب أن نفكر فيها معًا خلال الثلاثين دقيقة القادمة هي كلماتنا، وقدرتها على قطع العلاقات داخل الكنيسة، ومصدر تلك القدرة، وما يمكن عمله بشـــأنها». إذا استطعتَ أن تُعبِّرَ عـــن هدف الكاتب بدون تحفظ كما فعلـــتُ أنا، فإن قدرتك على تقديم التعليم الأساسي الذي يريد الكاتب توصيله أمام شعبك في جملة واحدة سيســـاعدك على تحقيق البســـاطة والوضوح، وهما السِّمَتَان المميزتان للأسلوب الجيد.

الخطوة العملية الثانية التي يمكن للواعظ التفســـيري أن يستخدمها لتحقيـــق الوضوح هـــي أن يُصرِّح في جملة واحـــدة **الهدف** الذي أراد الكاتـــب أن يوصِّله لقرائه من النص. الهـــدف هو ما يريد الكاتب من

جمهوره أن يعملوه أو كيف يريد منهم أن يفكروا بطريقة مختلفة ـ الفعل أو رد الفعل ـ نتيجة لموضوعه الرئيسي. وحتى لو لم تُعبِّر عن الهدف في جملة واحدة في عظتك، ينبغي أن تكون مُلِمًّا به جيدًا قبل أن تبدأ العظة. ينبغي أن تكونَ قادراً على الإجابة عن سؤال: «ماذا يريد الكاتب من قرائه؟».

إن قدرتك على التصريح بهدف الكاتب لها فوائد جمَّة. من هذه الفوائد أنها تسهِّل عليك مهمة مواءمة العظة لثقافة جمهورك. الوعاظ التفسيريون الكتابيون لا يعتزلون في مكاتبهم حتى يصيبهم الهزال في محاولات مضنية ليجعلوا عظتهم ذات صلة بسياق الجمهور. إنهم ليسوا بحاجة إلى ذلك؛ فالكتاب المقدس **وثيق الصلة** بهم. بل بالأحرى، يستخرج الوعاظ التفسيريون النتائج والتطبيقات الموجودة بالفعل في النص بطرق مفهومة للثقافة التي توجد فيها الكنيسة. بهذه الطريقة، يعمل النص الكتابي مع المواءمة الثقافية يدًا بيد في تعاون، حيث يكُونان شريكين في خدمة الوعظ. وعندما يستخدمهما الواعظ بهذه الطريقة، لن يكون أمينًا ومثمراً فحسب، بل ستصبح عظاته أيضًا أكثر وضوحًا وأسهل في المتابعة.

فوائد التزام العظة بالنص الكتابي

ينبغي أن تحدث هذه العلاقة الحيوية بين النص والمواءمة الثقافية عندما ينكب الوعاظ التفسيريون على تخطيط عظاتهم. تأتي المواءمة

الثقافيـــة في مرتبة ثانوية للنص الكتابـــي. وينبغي لتنظيم عظاتك أن يتبع تنظيم النـــص الكتابي. ينبع المخطط الـــذي تعتمد عليه عظتك من عملك الدراسي التفســـيري واللاهوتي الكتابي. وفي الحقيقة يصبح مخطط العظة صورة في مرآة مواكِبة لثقافة الجمهور.

هذا المبدأ هو النتيجة الطبيعية لمعنى الوعظ التفســـيري. فنحن لا نفرض مخطـــط العظة على النص الكتابي، بل نســـتخرج من النص مـــا وضعه الروح القدس فيه بالفعـــل. وأفضل طريقة لتحقيق ذلك هي الطريقـــة التي وضـــع بها الروحُ القدسُ النصَّ. تذكَّر، كان «تشـــارلز سيمون» يهدف لذلك حين قال:

«أسعى جديًّا أن أُخرِجَ من النص الكتابي ما هو موجود فيه بالفعل، لا ما أظن أنه موجود به. لديَّ غيرة شديدة على هذا الهدف؛ ولن أتكلم البتـــة أكثر ولا أقل مما أومن أنه فِكر الـــروح القدس في النص الذي أشرحه وافسره».[٣٢]

قدمت تعريفًا للوعظ التفسيري الكتابي بصفته الوعظ بقوة وسلطان، الذي يُخضِـــع بالحَقّ بنية العظة ومحور تركيزها، لبنية النص الكتابي ومحور تركيزه أي ما يؤكد عليه. ولعل من المفيد أن تعرف ماذا أقصد بكل كلمة من الكلمات الرئيسية في هذا التعريف. ما أقصده من **البنية و محور التركيز** أن كل وِحدة وعظية طبيعية في الكتاب المقدس تأتي

32. Handley Carr Glyn Moule, Charles Simeon (London: Methuen & Co., 1892), 97.

جاهــزة، بتنظيم ومحور تركيز أو توكيــد، قَصَدَهُما الروح القدس. أما مهمة الواعظ فهي أن يجدهما. وأفضل طريقة لذلك من خلال التفسير المنضبــط والتفكير اللاهوتــي في النص الكتابــي. وبمجرد أن يفهم الواعظ البنية ومحــور التركيز بوضوح، يصير جاهزاً للتفكير في بناء العظة.

ما يُميز بناء العظة التفســيرية عن الأنواع الأخرى من العظات الكتابية هــو أن الواعظ **يُخضع بالحق** ترتيب مادة العظة لبنية النص و محور تركيزه. يجب ألا نفرض على النص أي تخطيط آخر. فضلًا عــن ذلك، يجب ألا نُقحم أية مواد ليســت متضمنة في النص. هاتان القضيتــان تعالجهما عبارة **يُخضِع بالحق**. نحتاج إلى وعاظ يُخضِعون أنفسهم للتفسير الصحيح للأخبار السارة.

لا يتمتع الكثيرون منا بهــذا النوع من الانضباط الذي يجعلهم لا يرضــون بأقل من تقديم الأفضل. فمخططات عظاتنا غير ملائمة. كما نبني عظات تعكسُ شــيئًا مختلفًا عــن النص، ولها بنية مختلفة. وهــذه إشــارة إلى أننا غيــر منضبطين ولو قليلًا في هــذا الجزء من عمليــة التحضير، ولا نُخضع مخطَّــط عظاتنا ومضمونها للنص، بل نجعل النص يتوافــق مع البنية والمضمون الذي يتناســب مع خيالنا واســتلطافنا هذا الأســبوع. ونتيجة لذلك، نُقصِّر في الشرح التفسيري، ونَحرم شــعبنا من حقهم في ســماع صوت الله، ولا نترك لهم ســوى

أصواتنا نحن العاجزة. بالتالي، أشجعك على العمل على تقديم عظات مـــن الكتاب المقدس ملتزمـــة بالنص وممتثلة له. وفـــي النهاية، هذا هو الوعظ التفســـيري الكتابي، كما صاغه العنوان الفرعي لهذا الكتاب الصغير: **كيف نتكلم بكلمة الله اليوم**.

بعـــد أن رأينا الدور المفيد الذي يمكن أن تلعبه المواءمة الثقافية في مسألة الجمهور وترتيب مادة العظة، نحن الآن جاهزون لنرى كيف تساعدك في خطوة **تطبيق العظة**.

٣- إقامة الحُجَّة

يجـــب أن تُقِيم كلُّ عظة الحجةَ. لا يمكـــن صناعة تلاميذ بالفعل دون إقامـــة حُجَّة. تذكِّـــر التعاليـــم والوصايا التي تركها يســـوع في (متـــى ٢٨: ١٩ – ٢٠)، حيث كان علـــى التلاميذ أن يصنعوا المزيد من التلاميذ وأن «يُعلِّموهم جميع ما أوصاهم به يســـوع». كان عليهم أن يتكلموا بقوة الإقناع الأدبية التي تحث على الطاعة. ولكن يجب ألا يرضى الوعاظ بمجرد التغيير الســـلوكي، وإنما عليهم أن يسعوا لإقناع الناس وربحهم. فالواعظ ليس معنيًّا فحســـب بالكلام، بل بإقامة الحُجَّة أيضًا. يحتوى الإنجيل على شيء خاص يُخاطب العقلانيين منا، وليس العاطفيين فقط.

دعوني أقدم ثلاث أفكار سريعة حول هذا الموضوع.

أولًا، يمكن أن نجد الأمر الكتابي بإقامة الحُجَّة في الوعظ في مواضع عديدة. انظر (أعمال ١٧: ٢ – ٣). انتقلت خدمة بولس إلى ما هو أكبر، وقد وصفها الكاتب على النحو التالي: «فَدَخَلَ بُولُسُ إِلَيْهِمْ حَسَبَ عَادَتِهِ وَكَانَ **يُحَاجُّهُمْ** ثَلاَثَةَ سُبُوتٍ مِنَ الْكُتُبِ **مُوَضِّحًا وَمُبَيِّنًا** أَنَّهُ كَانَ يَنْبَغِي أَنَّ الْمَسِيحَ يَتَأَلَّمُ وَيَقُومُ مِنَ الأَمْوَاتِ». ونرى في عدد (٤) أن البعض قد اقتنع. كَانَ بولس **يُحَاجّهُمْ** (وهي الكلمة التي اشتقت منها كلمة ديالوج بمعنى حوار أو حديث). انخرط بولس معهم في مناقشة ووعَظَ بطريقة تفاعلية داخلية. فقد **وضَّح أيّ**–حرفيًّا– «فتح أذهان مستمعيه». فعل يسوع ذلك في (لوقا ٢٤) مع تلميذيه، إذ فتح ذهنهما ليفهما الكتاب المقدس. وقد فعل يسوع ذلك بطريقة جزئية من خلال إقامة الحجة على ترابط الأسفار المقدسة. لكن هذا له تأثير أيضًا في كسر الاعتقاد المغلوط بأن المؤمنين المسيحيين غير عقلانيين. أثبت كل من بولس ويسوع أن المؤمنين بالمسيح هم الأكثر اتساعًا في الأفق (منفتحين عقليًّا). كما **بيَّنَ** بولس أيضًا، أو وَضَعَ حرفيًا شيئًا أمام جمهوره. استُخدمت هذه الكلمة مجازيًا للتعبير عن تقديم وجبة طعام أو ترتيب مائدة (لوقا ٩: ١٦، ١٠: ٨، الخ). وضع بولس الحجج أمام الناس ليتناولوها. ونتيجة لذلك **اقتنع** البعض، واستمالهم كلام بولس. تحتاج كواعظ إلى تركيز نظرك عاليًا. قد لا نحبذ فكرة الإقناع هذه لأننا أسأنا فهم ١كورنثوس ١ ونريد أن نرفض

حكمة العالم. ولكن هذا لا يعني أننا لا ينبغي أن نستخدم كل إمكاناتنا لكـــي نكون مقنعين. نحتاج بالفعل إلى أن نكون مقنعين. خاطر بولس في (أعمـــال ٢٦: ٢٦ – ٢٨)، حيث أعلن بجَرأة عن رغبته في إقناع الملك أغريباس وحاشـــيته كلها. لم يكن بولس ليرضى بمجرد أن يكون جزءًا من الحوار، ولم يكن يحاول أن يجعل المســـيحية مستساغة، إنما كان يهدف إلى أن يربح كل شخص في العالم للإنجيل.

ثانيًا، يتميز الانخراط في الخدمة التي تتســـم بالحوار بفائدة كبيرة. وهذه الخدمة ليســـت الشيء نفسه مثل الوعظ الذي يتميز بالحوار. إن الكلمة التي يســـتخدمها الكتاب المقدس للوعظ تأتي من فكرة البشـــارة أو المناداة بالإنجيل، وتقدَّم في شـــكل حديث فردي (مونولوج). ولكن هناك قيمة كبيرة في جذب الناس إلى الحديث من خلال تقديمه بطريقة تجعل الجمهور يتفاعلون داخليًا. كان بولس مشـــتركًا في الحوار، لكنه كان يعظ بأسلوب الحديث الفردي (المونولوج)، إذ قدَّم عظة ذات دافع أخلاقي. وبناء عليه، علينا بكل تأكيد أن نستغل تلك المنابر المفتوحة، والأسئلة والأجوبة، وفرص إقامة حوار حقيقي ونُطبِّق عناصر المنطق في هذا الأســـلوب الوعظي. الوعظ هو الشـــرح، ولكنه يشـــمل أيضًا الإقناع والتطبيق.

ثالثًـــا، ركِّز على الموضوع الأكثـــر أهميـــــة لحجتـــك. (انظر أعمال ٢٤: ٢٤ – ٢٥): «ثُمَّ بَعْدَ أَيَّامٍ جَاءَ فِيلِكْسُ مَعَ دُرُوسِـــلاَّ امْرَأَتِهِ وَهِيَ يَهُودِيَّةٌ. فَاسْتَحْضَرَ بُولُسَ وَسَمِعَ مِنْهُ عَنِ الإِيمَانِ بِالْمَسِيحِ. وَبَيْنَمَا

كَانَ يَتَكَلَّمُ عَنِ الْبِرِّ وَالتَّعَفُّفِ وَالدَّيْنُونَةِ الْعَتِيدَةِ أَنْ تَكُونَ ارْتَعَبَ فِيلِكْسُ وَأَجَابَ: «أَمَّا الآنَ فَاذْهَبْ وَمَتَى حَصَلْتُ عَلَى وَقْتٍ أَسْتَدْعِيكَ». سمع فيلكس بولس يعظ عن ١) الإيمان بالمسيح يسوع، ٢) البر، ٣) التعفف وضبط النفس، ٤) الدينونة العتيدة. وينبغي أن نجتهد لإقناع المستمعين بهذه الحجج الأربع الكبرى. وبالفعل، هذه هي الحُجج التي أراد بولس أن يقنع بها قراءه في (رومية ١-٣).

تعلَّم أن تستخدم الحُجَّة في كل عظة تقدِّمها. الأمر ليس سهلًا، ولكنه بسيط.

٤- تطبيق عظتك

عندما يتعلق الأمر بالتطبيق، أهم شيء هو أن المفسِّرين الكتابيين يهدفون إلى **تغيير القلب**. فنحن لا نسعى إلى مجرد تطبيق الحقائق الإلهية على عقول المستمعين، مع أنه هدف مهم للغاية. ولا ينبغي أن نَرضى بمجرد تحريك أياديهم وأرجلهم للعمل، مع أن هذا ضروري لكل خدمة مسيحية، بل ما نسعى إليه هو قلوب مستمعينا. ينبغي ألا نرضى بالتطبيقات التي تأسر مجرد جزء من تفكير المستمع أو مما يعمله. بالأحرى، بصفتنا وعاظ تفسيريين كتابيين ينبغي أن يكون هدفنا هو استحواذ الله تمامًا على إرادة المستمعين وعواطفهم. فالقلب هو عرش القوة، وهو عامل التغيير.

يتشـــارك التطبيق القلبي الكامل مع المواءمة الثقافية في أربع طرق على الأقل فهو:

- يهدف بدقة إلى التوبة القلبية.
- يتأصل داخل الصلاة القلبية.
- ينشأ من الوعي القلبي.
- ينبع من قلب النص الكتابي.

التوبة القلبية

دعونا نعود إلى عظة بولس في أثينا. كان بولس يعظ هناك من أجل **التوبـــة من القلب**. وقد دعا أهل أثينا إلى «التوبة» (أعمال ١٧: ٣٠) ودعاهم ألا يبقوا في «أزمنة الجهل». لم يكن بولس يريد من أهل أثينا أقل من التغيير الكامل لذهنهم، وقلبهم، وإرادتهم.

أثناء تحضير العظة ينبغي أن يسأل الواعظ نفسه عددًا من الأسئلة حيـــن يفكر في تطبيق النص: «هل أعظ مـــن أجل تغيير داخلي في القلب؟ هل أنا عازف عـــن الكلام والدعوة للتوبة؟ هل عظتي تتخطى مجرد المعرفة العقلية؟»

تذكـــر أن الهدف من المواءمة الثقافية ليس هو مســـاعدة رســـالة الإنجيل علـــى أن تكون حقيقة أخرى مثيـــرة للاهتمام، بل نهدف من البداية إلى الفوز بقلوب المستمعين من أجل ملء المدح الذي يستحقه

المسيح. ولكي يحدث هذا العمل المجيد، يقتضي ذلك أن يأخذ روح الله كلمة الله ويُطبِّقها على شعب الله. من يستطيع أن يغيِّر قلوب البشر إلا الله وحده؟ (وما يدعو إلى السخرية أن أعداء يسوع كانوا يفهمون هذه الفكرة؛ انظر مرقس ٢: ٧).

الصلاة القلبية

بما أن الهدف من تطبيق العظة هو القلوب التائبة كليًا، وبما أن الله وحده هو الذي يستطيع أن يُحقِّق هذا الهدف، يجب أن نبدأ هذا الجزء الخاص بالتطبيق من عملية تحضير العظة، ونحن ساجدين في الصلاة. يجب أن نكون على دراية بالصلاة من القلب.

يشجعنا (لوقا ١١: ١ – ١٣) نحو هذه الغاية. جاء التلاميذ إلى يسوع يريدون أن يتعلموا كيف يُصلون، مثلما علَّم يوحنا تلاميذه. ردًّا على طلبهم، قدَّم لهم يسوع نموذجًا للصلاة (لوقا ١١: ١ – ٤). ثم قال لهم مثلًا ليشجِّعهم على الصلاة، وذلك بمقارنة الله الآب بصديق مقرَّب. هذا الصديق يستيقظ في نصف الليل ويأبى أن يساعد صديقه. فالصداقة لها حدود! لكن الله بصفته الآب ليس مثل هذا الصديق. فالله مستعد دومًا لمساعدتنا. اسألوا تُعطَوا. اقرعوا وهو سيفتح لكم. وما هو بالضبط الذي يَعِدُ الله بأن يعطيه لنا؟ «الآبُ الَّذِي مِنَ السَّمَاءِ يُعْطِي [سيعطي] الرُّوحَ الْقُدُسَ لِلَّذِينَ يَسْأَلُونَهُ" (١١: ١٣). ولا حتى تلاميذ يوحنا المعمدان، المتعلمين كيف يصلون، كانوا يعرفون عن الروح

القدس (أعمال ١٩: ١ – ٢). ولكن، شـــكراً لله، نحن نعرفه. والله يعد بأن يمنحه لنا!

الوعي القلبي

مثلما يجب أن نرفع قلوبنا لله من أجل نفوس شـــعبنا، هكذا ينبغي أن نعرف قلوب شعبنا. تساعدنا المواءمة الثقافية على رؤية ما يسيطر على قلوب من هم حولنا. وببساطة، إن كان تطبيق عظتنا يخدم عملية استحواذ الله على قلوب شعبنا، نحتاج أن يكون لدينا وعي قلبي بشعبنا. يجـــب أن نميِّز، عن طريـــق المراقبة الدقيقة، القِيَـــم والالتزامات التي يتمسكون بها داخليًا، وبخاصة تلك الأشياء التي تمنعهم عن أن يعيشوا الحياة المُرتَّبة ترتيبًا صحيحًا في العبادة والطاعة للمسيح.

إن كتابات أغسطينوس ورســـائل بولس (علاوة على الكتابات عن وعظه في ســـفر الأعمال) تحتوي على مادة ضرورية للوعاظ لا غنى عنهـــا للتأمل في خطوة المواءمة الثقافيـــة. وفي الواقع، تعتبر كتابات هذين الرجلين وحدها كافية لســـد احتياج الواعظ المفسِّـــر. من المثير للسخرية أن يظن أحدهم أن مجرد الإشارة للصحف أو وسائل الإعلام الإخبارية يمكنه أن يفي بالغرض. إن هذا النوع من الكتابة، في أغلب الأحيان، يفشـــل في الوصول إلى أبعد من **ما** يجـــري في العالم. أما مسألة **لماذا** يفعل البشـــر ما يفعلونه فهذا هو الجزء الرئيسي. وكشف النقاب عن هذا ســـيكون دومًا مسألة تخص **القلب!** لا أحد ضرب مثلًا

لهذه البراعة أفضل من أغسطينوس وبولس. إنهما يعرضان أمامك **كيف** تستغل **الأخبار**. ولحسن الحظ يمكن تعلم واكتساب ما قدمه أغسطينوس وبولس. على سبيل المثال، أبرز المؤرخ بيتر براون (Peter Brown)، من مدينة برينستون، هذا النوع من الوعي القلبي في أبحاثه وقراءاته عن روما القديمة. كتب براون عن amor civicus، أي محبة مواطني روما للمدينة وأهلها. وقال:

> يُمدح الشخص الغني الذي يُظهر هذه المحبة، ويعتبروه مُحبًّا لوطنه (amator patriae). وكان هذا أنبل أنواع المحبة التي يمكن أن يُظهرها شخص ثري. كُتب هذا النوع من المحبة (amor civicus) على جميع حوائط المعابد، والساحات، والمباني العامة، والأقواس، وصفوف الأعمدة، وأماكن التسلية الجماهيرية الواسعة: المسارح، والمدرَّجات، والملاعب الرومانية، التي لا تزال تبهر السياح بأي موقع سياحي روماني في أي منطقة تقريبًا في أوروبا الغربية وشمال أفريقيا.[٣٣]

يصف براون شعب روما بأن لهم «صوراً طبيعية لقلوبهم». إنه يصفهم بأنهم «المحبون لوطنهم» و«المحبون الذين تحتل روما قلوبهم».[٣٤] لو كان براون يعظ فعليًّا أهل روما، لكان هذا هو بالضبط

33. Peter Brown, Through the Eye of a Needle (Princeton: Princeton University Press, 2012), 64.

34. Peter Brown, Through the Eye of a Needle (Princeton: Princeton University Press, 2012), 96-101.

نوع المعرفة الذي يمكن اســـتغلاله بطريقـــة ممتازة في تطبيق العظة. وعلـــى غرار روما القديمة، فإن مدننـــا هي أماكن تصطدم فيها الرؤى والفلســـفات الحياتية المختلفة، ومع هذا، تبقى قلوب الرجال والنســـاء مكشـــوفة. ويجب علينا أن نتعلم مهارات الاستماع التي يوضِّحها بيتر براون ببراعة.

إن تطبيق كلمة الله اليوم ببصيرة نافذة، يساعد على معرفة ما يحبه جمهورنـــا، ويعتز به، ويقـــدِّره. هل فعلتَ هذا من قبل؟ هل لديك وعي قلبي بالناس في البيئة المحيطة بك؟

قلب النص الكتابي

برغم أن كل واعظ يحتاج وعيًا قلبيًّا لما يجري في قلوب مستمعيه، مـــن الخطأ أن نفكر أن كل ما يحتـــاج الواعظ أن يعمله هو تطبيقات جيدة في العظة. تذكَّر أن خدمة الإنجيل الصحيحة دائمًا ما تكون على وعي بثقافة المستمعين، ولكن ما يوجهها هو النص الكتابي.

بعض الوعاظ يدفعه الجمهور أكثر من اللازم، ومحور تركيزهم هو أن تُوائِـــم عظاتهم ثقافة جمهورهم، لدرجة أنه حين يأتي الوقت لإعداد تطبيقات العظة، يغيب النص الكتابي عن عقول هؤلاء الوعاظ! سمعت فـــي الحقيقة بعض الوعاظ يصف وقت إعـــداد تطبيقات العظة على النحو التالي: إنهم يجلسون في دراستهم وعيونهم مغلقة، ورؤوسهم إلى الخلف، ووجوههم ناحية السقف.

إن استراتيجية مواءمة العظة لثقافة الجمهور لها مكانها في العظة، غيـــر أنه يجب ألا تكون لها الأولوية. فالواعظ يمكنه أن يخدم شـــعبه بشـــكل أفضل وعيناه مفتوحتان على النص مُحدِّقتان فيه. المبدأ الذي يجب ألا ننســـاه هـــو: أن تطبيقات عظتك ترتبـــط دائمًا **بقلب النص الكتابي**. ولكي تجدها، عليك أن تطرح أســـئلة أفضل، لا تلك الأسئلة عن جمهورك، بل أسئلة تطرحها على النص.

الســـؤال الأول الـــذي أطرحه دائمًا على النـــص الكتابي هو: «ما الذي قصد كاتب السفر أن يوصِّله لقرائه؟» هذه، إلى حد بعيد، أفضل خطوة للبداية. فهذه الخطوة تجعل أفكارك متماشـــية مع قصد الكاتب. إن التعبير بوضوح عن القصد من النص يقطع بنا شـــوطًا طويلًا نحو الوصول للتطبيقات على جمهورنـــا. أحيانًا نجد قصد الكاتب واضحًا وصريحًـــا. وفي هذه الحال، يعطينا التطبيق مع النص. على ســـبيل المثال، في قصة داود وجُليات، نقرأ:

> «هَذَا الْيَوْمَ يَحْبِسُـــكَ الرَّبُّ فِي يَدِي فَأَقْتُلُكَ وَأَقْطَعُ رَأْسَـــكَ. وَأُعْطِي جُثَثَ جَيْشِ الْفِلِسْطِينِيِّينَ هَذَا الْيَوْمَ لِطُيُورِ السَّمَاءِ وَحَيَوَانَاتِ الأَرْضِ، فَتَعْلَمُ كُلُّ الأَرْضِ أَنَّهُ يُوجَدُ إِلَهٌ لإِسْرَائِيلَ. وَتَعْلَمُ هَذِهِ الْجَمَاعَةُ كُلُّهَا أَنَّهُ لَيْسَ بِسَـــيْفٍ وَلاَ بِرُمْحٍ يُخَلِّصُ الـــرَّبُّ، لأَنَّ الْحَرْبَ لِلرَّبِّ وَهُوَ يَدْفَعُكُمْ لِيَدِنَا» (١صموئيل ١٧: ٤٦ – ٤٧).

يقدم لنا هذا النص مغزى القصة: خدمت المعركة الغرض التبشيري (أن تعرف الأرض كلها أنه يوجد إله في إســرائيل) والغرض التعليمي، أي تعليم شـــعب الله أن يؤمنوا به (الرب يُخلِّص لا بســيف ولا برمح، لأن الحرب للرب) .

السؤال الثاني المفيد الذي أطرحه على النص هو: «كيف تتجاوب الشـــخصيات في هذا النص مع الحق الإلهـــي، أو كيف تتجاوب مع مسيح الله؟» أحيانًا تقدم الشخصيات مثالًا للتناقض لجمهور المستمعين في الكنيســـة. وعظتُ ذات مرة من أحـــد النصوص التي تُبرز التباين بين مَلِكيْن: شـــاول وداود (١صموئيل ٢٢). يا له من إصحاح مبهر! تظهر على مســـرح هذا النص شـــخصيتان ثانويتان مع ملكين ذائعي الصيت. الشخصية الأولى هي دُوَاغُ الأَدُومِيُّ، الذي كان مواليًا لشاول، والثانيـــة هـــي أبياثار، الذي عَزَمَ أن يتبـــع داود. أصبح دُواغ وأبياثار شخصيتين نافعتين لتطبيق العظة. هل سنتبع «مسيح الله» مع أنه يبدو ضعيفًا وهاربًا؟ أم سنفعل مثل دُواغ، ونتبع الملك الأرضي الذي سيزول سلطانه مع المزايا التي يتمتع بها في نهاية المطاف؟

الســـؤال الثالث المفيد هـــو: هل هذا التطبيق هو الأساســـي لهذا النص أم أنه ليس ســـوى تطبيق محتمـــل؟ يجب ألا تقدِّم تطبيقًا ثانويًّا أو من الدرجة الثالثة قبل أن تتأكد من أنك أوصلت لجمهورك التطبيق الأساسي. يجب أن يكون هدفك الأساسي من النص متماشيًا مع هدف

الروح القدس منه. فكِّر في هذا السؤال وتصوَّر سُلَّمًا وفي كل درجة من درجاته يصبح التطبيق مجـــردًا أكثر فأكثر. فكلما كانت الدرجة بعيدة في الســـلم، ستجد أنك بعيد عن الوصول إليها. إنها ببساطة بعيدة عن الدرجات الأخرى أكثر من اللازم، ومن الأفضل أن تَعتمد تطبيقًا أكثر واقعية، وأقوى تأثيراً، وأكثر وضوحًا، وأساســيًّا وليس ثانويًّا. ما أعنيه هو أنه كلما أمعنت في التجريدية والنظرية في تطبيقاتك، خفَّت شرعية التطبيقات وقلَّت فائدتها.

فـــي تلك المـــرات التي أريد فيها أن أطبِّق النـــص الكتابي بطرق متعددة، دائمًا ما أبدأ بالتطبيق الأساســـي. وكلما ابتعدت عن التطبيق الأساســـي، أُخبر شعب الكنيســـة بأن ما أقوله هو أقرب إلى التوسُّع في تطبيق النص إلى أبعد من الحد الطبيعي. لنعُد مرة أخرى للتفكير فـــي حديثنا عن صموئيل الأول الإصحـــاح الثاني في الفصل الأول مـــن هذا الكتاب. كانت بعض التطبيقات عن تربية الأطفال، لكن لما درســـنا النص، رأينا أن هذا التطبيق ثانوي، بل هو تطبيق من الدرجة الثالثة.

سؤال مفيد آخر أفحص به تطبيقاتي، وفقًا لما يسمح به النص وما لا يســـمح به، هو «هل هذا التطبيـــق يهدم النص؟» إن كون التطبيق ممكنًـــا لا يعنـــي بالضرورة أنه التطبيق الـــذي كان في ذهن الكاتب.

والســـؤال المرتبط بهذا الســـؤال هو هل تطبيقـــي للنص يتعارض مع نصوص كتابية أخرى؟ إن كان كذلك، فلا يجب أن أستخدمه. فكِّر في تلك المناســـبة التي كَذِبَ فيها داود على أخيمالك الكاهن لكي يحصل منه على طعام وســـلاح (١صموئيل ٢١). ربما تســـتخدم هذا النص لتقديم دليل على إمكانية اســـتخدام "الخـــداع المقدس" في خدمة الله، لكنك ستواجه مشكلات حين تأتي إلى تطبيق (كولوسِّي ٣: ٩ – ١٠). يحميك هذا الســـؤال الأخير من ارتـــكاب خطإ إدخال نص كتابي في معركة مع نص كتابي آخر.

الفحص الأخير لخطوة التطبيق هو أن أطرح ســـؤالًا يوجِّهني إلى قلـــب الكتاب المقدس نفســـه. «هل التطبيق الـــذي أقدِّمه متأصل في الإنجيـــل، أم أني أخاطر ببســـاطة بوضع المزيد مـــن الوصايا على شعبي؟» حين تعظ من (يعقوب ٣: ١–١٢) على سبيل المثال، سيكون من السهل جدًّا أن تقول: «اضبط لسانك». غير أنه لو توقفنا عند هذا، ســـيكون التطبيق مجرد تقديم مبادئ أخلاقية. إن فكرة الإصحاح هي أن التحكم في اللسان أمر مســـتحيل. نحن بحاجة إلى النعمة. ويتابع يعقوب توضيحه لهذه الفكرة في الأعداد (١٣–١٨)، حيث يتحدث عن حاجتنا إلى طلب الحكمة «من فوق».

كلمة أخيرة

لكـــي يترك الوعاظ أثرًا اليوم، يجب عليهم أن يســـتخدموا المواءمة الثقافية بالمشـــاركة مع النص الكتابي. ليـــس ذلك فقط، بل ينبغي أن نستفيد من كليهما بطرق تســـاعدنا في **تركيبة** جمهورنا، و**ترتيب** مادة العظة، و**الحجج** التي نقدِّمها، و**تطبيق** العظة.

كلمة أخيرة، مع أن أفضل مفســـري الكتاب المقدس ينشغلون بشدة بمســـألة **اليوم**، فإنهم يقومون بكل العمل اللازم لتحضير العظة (سواء كان التفســـير، أو التفكيـــر في الجانب اللاهوتـــي للنص، أو مواءمة العظـــة لثقافة الجمهور) في ضوء **ذلك اليوم**، اليوم الذي ســـيأتي فيه يســـوع ثانية، حيث ستتكشف كل الأشياء، بما في ذلك الدوافع الداخلية في قلوب الوعاظ. أرجو أن يســـاعدك إدراكك لذلك اليوم على أن تظل مُصلِّيًا، وأمينًا، وتترك لله مهمة إنتاج الثمر الوفير.

الخاتمـــــة

العظام اليابسة

ألقى تشارلز سيمون عظته الأولى بعد رسامتة في عيد الثالوث الأقدس، (أول أحد بعد يوم الخمســين)، بدلًا مــن راعٍ آخر كان في إجازة. لم يبلغ سيمون في ذلك الوقت سوى الثانية والعشرين من عمره. وبعد عشــرات السنين، تأمَّل ســيمون في جهوده الأولى في الوعظ ؛ فكتب:

> بما أني الآن أعرف السيد أتكنسون (Atkinson) معرفة شخصية، فقد اضطلعت برعاية كنيســته خلال إجازته الطويلة، وأســتطيع قول إن الله قصد من ذلك خيراً. خلال شــهر أو ربما ستة أسابيع ازدحمت الكنيســة جدًّا؛ وكان يحضر يوم التناول من مائدة الرب ثلاثة أضعاف العدد المعتاد، فقد دبَّت الحياة بطريقة ملحوظة في العظام اليابسة.[٣٥]

أُحِبُّ كواعظ كل تفاصيل ذلك الوصف المختصر الذي رواه سيمون عــن عظاته الأولى: بدءًا من الطريقة المعتــادة التي بدأ بها، إذ حل

35. William Carus, Memoirs of the Life of the Rev. Charles Simeon (London: Hatchard and Son, 1847), 24.

بديلًا لرجل آخر في إجازة، إلى تعبيره البسيط عن رجائه في أن يكون نافعًا. يا لها من بداية رائعة! أفترض أن الله قصد لتلك العظات الأولى أن تكون مثمرة على نحو خاص كعطية خاصة المقصود بها أن تكون عونًا له في خدمته. إذ أنه سَــرعان ما سيواجه العديد من التجارب في كامبريدج. ولعل أحــب جزء إلى قلبي هو نظرته لتأثير كلمة الله التي ينادي بها الواعظ: «دبَّت الحياة في العظام اليابسة».

أنا على قناعة راسخة بأن ما حدث مع سيمون في ذلك اليوم يمكن، بفعل نعمة الله، أن يحدث مرة أخرى. وربما يبدأ معك!

وضعت هذا الواعظ الصغير في الســن أمام عينيَّ وفي فكري عند كتابة هذا الكتاب الصغير عن الوعظ. فسواء كنتَ في الثانية والعشرين أو في الثانية والثمانين، أو بينهما، أصلِّي أن يستخدم الله خدمتك بطرق تمنحنا جميعًا «رجاء بأن خيراً ما قد يحدث».

الملحـــق

أسئلة يطرحها الوعاظ

فيما يلي بعض الأسئلة الفاحصة التي يمكنك استخدامها لإرشادك في عملية تحضير العظة من البداية إلى النهاية.

التفسيـــــر

هل صلَّيْتَ لطلب معونة الله عندما بدأتَ العمل؟

البنيـــــة

كيف نظَّم الكاتب هذا النص؟ سيكون من المفيد إن حددتَ بوضوح بداية مقاطع الآيات ونهايتها لكل جزء من أجزاء البنية.

عمومًا: هل توجد كلمة، أو عبارة، أو فكرة متكررة في النص؟

الرواية: كيف قُسِّم النص إلى مشاهد؟ هل هو مقسَّم بناء على المواقع الجغرافية أم تغيير الشخصيات والانتقال بينها؟ ما هي الحبكة الروائية؟ (مـــا الصراع، أو ما الذي يخلق توتراً دراميًّا؟ ما هي ذروة الأحداث أو نقطة التحول؟ هل تم حل الصراع؟ إن كان كذلك، كيف؟)

الخطـــاب: كيف تُظهـــر القواعد النحوية أو منطـــق الفقرة الكتابية تسلسل الأفكار؟

الشِّعر: كيف تتغيَّر نغمة هذه القطعة الشعرية أو موضوعها؟

ماذا يكشف تنظيم النص عن المضمون الذي يقصده الكاتب؟

القرينة (السياق)

كيف تُخبرنا القرينة الأدبية المباشرة ـ المقاطع السابقة للنص المراد دراسته والمقاطع اللاحقة له ـ عن معنى النص؟ لماذا يوجد هذا النص هنا في هذا المكان؟

مـــا الموقف التاريخي الذي كان يواجهـــه الجمهور الأول أو القراء الأوائل استنادًا على النوع الأدبي؟

كيف يتلاءم النص الكتابي مع السياق الأوسع؟

نغمة السفر

ما هو جوهر هذا السفر؟

كيف يســـاعدني النـــص الكتابي على فهم نغمة أو جوهر الســـفر وكيف تساعدني نغمة السفر على فهم النص الكتابي؟

ما هي الفكرة الرئيسية للنص؟

التفكير في الجانب اللاهوتي للنص

كيف يستبق أو يرتبط النص بالإنجيل؟

كيف يســـاعدني اللاهوت الكتابي علـــى رؤية الإنجيل في النص؟ كيف يستخدم الكاتب تتميم النبوات، والمسار التاريخي، والموضوعات الرئيسية، أو التشابهات؟

كيف يســـاعدني اللاهوت النظامي على رؤية الإنجيل في النص؟ هل يحفظني في الإيمان، ويساعدني على أن أربط النص بالإنجيل، أو يعزِّز مهارتي في الكرازة لغير المؤمنين؟

المواءمة الثقافية واليوم

جمهور المستمعين

هل أعرف الجمهور الذي سيســـتمع لهذه العظة؟ هل تعهَّدتُ بأن أحبَّهم؟ هل كنت أصلي من أجلهم طوال عملية تحضير العظة؟

ترتيب مادة العظة

ما البنية والمضمون أيّ محور التركيز اللذان أريد أن أضعهما في العظـــة؟ هل هذه البنية وهذا المضمون يعكســـان بنية النص ومحور تركيزه؟

التطبيـــق

هل هدفي من الوعظ هو إحداث تغيير داخلي في القلب، سواء في حياتي أو في حياة المستمعين؟ وهل أفعل ذلك بطريقة تجعل المستمعين يتضعون، وتُمجِّد المخلِّص، وتُعزِّز القداسة في حياة الحاضرين؟

ما الذي يقصد كاتب السفر أن يوصِّله لقرائه؟

الرواية: كيف تتجاوب الشخصيات في النص مع الحق الإلهي، أو مع الشخص الممسوح من الله؟

الخِطاب / الشِّعر: كيف يريد الكاتب من قرائه أن يتجاوبوا؟

هل ينبع تطبيقي من قصد الكاتب؟

هـــل تطبيقـــي هو التطبيق الأولـــي للنص، أم هـــو مجرد تطبيق محتمل؟

هل يضعـــف تطبيقي النص؟ وهل يتعـــارض مع نصوص كتابية أخرى؟

هل التطبيق الذي أقدمه متأصِّل في الإنجيل، أم أني أخاطر بوضع المزيد من الوصايا على شعبي؟

هل أنا مســـتند على النص لأقول ما أريد أن قوله؟ أم أني لا أخرج من النص سوى ما هو موجود فيه بالفعل؟

شكر خاص

كان كِنــت هيوز (Kent Hughes) وديك لوكاس (Dick Lucas) اثنين مــن الوعاظ الذين قدموا لــي مثالًا يُحتذى به في الوعظ التفســيري. هذان الرجلان، مع انشغالهما الكبير بتفسير كلمة الله، خصَّصا الوقت ليســتثمرا في حياتي. لذا أشــكرهما على ذلك. سيبقيان دومًا صديقين عزيزين، وأنا على يقين من أن هذه الصفحات أفضل بفضلهما.

علاوة على ذلــك، أود أن أعبر عن تقديري للراعيَيْن الأقرب إليّ، اللذيــن خدمت معهم: جــون دينيس (Jon Dennis)، وآرثر جاكســون (Arthur Jackson). فالسنوات الطويلة التي قضيتماها في الخدمة الأمينة كانت مصدرَ تشجيع لي. أنا مدين لكنيسة هولي ترينيتي في هايد بارك بشيكاغو، فقد قبلتم كلمة الله بفرح طوال خمس عشرة سنة. والأكثر من هذا، كنا معًا أسبوعًا تلو الآخر، نتعهد بأن يرعى كل واحد قلب الآخر بكلمة المسيح. كم أنا ممتن لذلك، مثلما أنا ممتن لكم جعلنا الله فرحين تحت قيادة المسيح!

أود أيضًــا أن أعبر عن امتنانــي لصداقتي مع مارك ديفر (Mark Dever) وجوناثان ليمان (Jonathan Leeman). لم تكن هذه الأفكار لترى النور لولا دعوتهما الكريمة لي وحثهما لي على الكتابة. أيها الســادة، شكرًا لكما على إتاحة الفرصة لي لأشارككما هذا العمل.

فضلًا عن ذلك، أقدم شكري لتارا ديفيس (Tara Davis) من مؤسسة كروسواي (Crossway) على جهدها في تحرير نص هذا الكتاب، الذي لولاه لَمَا خرج الكتاب بهذه الجودة. شكراً لكِ.

ومن المقربين إلى قلبي، أشـــكر الله شـــكراً عميقًا من أجل روبرت كيني (Robert Kinney)، صديقي في خدمة قضية المســـيح. شكراً لك، كالعـــادة، على تنقيح مخطوطة هذا الكتاب، وشـــكراً لك بالأكثر على مشاركتي مسؤولية قيادة مؤسسة تشارلز سيمون.

أخيراً، ليزا زوجتي، شـــكراً على محبتـــك التي غمرتِيني بها وحدي لثلاثة عقود الآن. أحب بشكل خاص ذلك المكان الذي هيأتيهِ في قلبك لكلمة الله، المكان الذي يزداد اتساعًا كل يوم.